أضـــواء

على الحضارة في الإسلام

بقلم

علـي القاضـي



كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق

الترقيم الدولي I.S.B.N.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يختلف مفهوم الحضارة من مجتمع إلى مجتمع، ومن زمن إلى زمن؛ ذلك لأن أكثر المفاهيم بشرية، والبشر عادة ينظرون إلى جانب ويغفلون عن جوانب، ومن الملاحظ أن المجتمعات البشرية تركز على الجانب المادي وحده.

ولذلك فإن أية حضارة بشرية لا يحس أهلها بالراحة النفسية ولا يشعرون بالأمن ولا بالاطمئنان؛ ومن هنا فإنها لا تعيش فترة طويلة، على عكس الحضارة الإسلامية التي تستمد مفاهيمها من القرآن الكريم ومن السنة النبوية، فهي حضارة إلهية وخالق البشر أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم.

والقرآن الكريم الذي نزل على محمد ﷺ فيه كل مقومات الحضارة السليمة التي تجعل الفرد والمجتمع يعيشون في سعادة تامة ورضا كامل وقدرة على عمارة الأرض طبقًا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى.

وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم الذي به كل مقومات الحضارة؛ ولذلك فإن الحضارة الإسلامية لا تنتهي ولا تموت لأنها تشمل كل جوانب الحياة: الجانب المادي، والجانب العقلي، والجانب الروحي، يقول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**﴾ [الفتح: ٢٨].

وغير المسلمين يعملون على إطفاء نور الحضارة الإسلامية لكنهم لن يصلوا إلى ذلك، يقول الله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [الصف: ٨].

نعم، إن الحضارة الإسلامية قد تضعف حين يتأثر المجتمع الإسلامي بغيره من المجتمعات البشرية أو حين يبتعد عن منهج الخالق سبحانه وتعالى، ولكنه سرعان ما يعود إلى الكتاب والسنة إذا ما جاء حاكم عادل سائر على منهج الإسلام، فإن المجتمع الإسلامي يبدأ صفحة جديدة في حياته، ويعمل على أداء رسالته، ويشعر بالأمن

والاستقرار والسعادة.

ولذلك فقد رأيت أن أكتب هذا الكتاب حتى أبين للمسلمين نعم الله عليهم رجاء عودتهم إلى مفاهيم الإسلام وإلى حضارتهم السليمة الكاملة المتكاملة؛ فيفوزون برضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة، وأبين لغيرهم مميزات الإسلام التي تنفع البشرية كلها. وقد بينت في هذا الكتاب مفهوم الحضارة في الإسلام والأسس التي تقوم عليها ثم وظيفتها في المجتمعات البشرية - إلى جانب نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان، وصلة الإنسان بالكون الذي يعيش فيه - وذلك يظهر أن المسلم متعاطف مع الكون كله بما فيه ومن فيه، ولا يتعاطف مع الكافر على عكس مفهوم الحضارات البشرية، وبخاصة الحضارة الغربية الحديثة، فالمسلم يحس بوحدة الكون وبأن الكون صديق له.

ثم أظهرت عناصر العلاقات الاجتماعية التي تجعل المسلم متوازنًا في كل شيء ومتميزًا في كل شيء وقادرًا على أداء رسالته في هذه الحياة، ثم حاجات الإنسان الأساسية وكيفية بناء المجتمع والحركة السلوكية وظاهرة الضبط في الحضارة الإسلامية، إلى جانب شخصية المسلم التي يكونها الإسلام.

ثم بينت مقومات الحضارة في الإسلام والتي تظهر في التوافق النفسي والتوافق الاجتماعي للمسلم، إلى جانب المناعة الجسمية والمناعة العقلية والمناعة الروحية، ثم التفكير السليم والاستقامة على منهج الله تعالى والإحساس بالمسؤولية والمساواة أمام الله تعالى، ثم مفهوم التكافل في المجتمع الإسلامي.

وأخيرًا وضحت دور المسلم في المجتمعات المعاصرة حتى يعمل على إنقاذها مما هي فيه. والحضارة الإسلامية تجعل المجتمع الإسلامي على وعي وفهم لكل ما يريده الخالق سبحانه وتعالى منا ثم تطبيقه عمليًّا على الفرد والمجتمع وبذلك يمكن للمجتمع الإسلامي أن يقود العالم إلى بر الأمان وأن ينقذ المجتمعات التي تسير إلى الهاوية؛ وبذلك يحققون قول الله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** [آل عمران: ١١٠].

علي القاضي

الحضارة في الإسلام

مفهوم الحضارة :

الحضارة عبارة عن مجموعة من مظاهر الرقي في العالم وتطور أفراده وجماعاته من النواحي النفسية والعلمية، كما تشمل النواحي المادية بجميع فروعها.

والحضارة الإسلامية أنشأت حياة إنسانية وافقت تصوره وذلك في صورة واقعية وفقًا لقوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي ذلك قال ربعي بن عامر لرستم قائد جيش الفرس: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام) .

ومن هنا فإننا نرى أن أول أهداف الحضارة الإسلامية إذا ما اكتملت عناصرها ـ «الرقى الداخلي) نعم لقد أبطلت الحضارة الإسلامية العصبية العرقية والحقد الجنسي وشقت الطريق إلى الإخاء الإنساني وإلى العدل والمساواة وإلى نشر المحبة والمودة في كل جوانب الحياة .

وإذا ما أردنا أن نعيد الحضارة الإسلامية إلى حياتنا فلابد وأن نعمل جادين على تحقيق عناصرها في كل المجالات سواء أكان المجال المعرفي أم المجال العاطفي أم المجال السلوكي .

والأسس التى تقوم عليها الحضارة الإسلامية هي:

أولاً : التوحيد:

والتوحيد يعني تنزيه الله تعالى عن كل مشابهة لما يعرفه الإنسان أو يتصوره. فالمسلم يؤمن بالله تعالى الواحد الأحد الحق وهذه العقيده هي المصدر الوحيد الذي يتلقى منها المسلم موازينه وقيمه والتى يرجع إليها بروابطه .

وهذا المفهوم ينعكس على الفرد كما ينعكس على المجتمع كله ـ وذلك يجعل المسلم عادلاً متزنًا يعطي في غير مقابل ويسير في طريق العدل والمساواة والإحسان.

ولذلك فإن عقول المسلمين وقلوبهم تلتقي على عبادة الله تعالى وتتضافر إرادتهم على عمران الدنيا وإنشاء الحضارة فيها في ضوء الإرشاد الإلهي وذلك يزود النفس بالطمأنينة النفسية والراحة القلبية ذلك لأن الإسلام نظم له جوانب حياته كلها وربط شخصيته بالله تعالى – وفي ضوء هذا الربط التزم به وسار في طريق الله سبحانه وتعالى .

فالإسلام يزكي الغرائز ويحارب الشر في الإنسان وباب التوبة بعد ذلك مفتوح ...

والاستخلاف لا يتحقق إلا إذا تحققت عبودية الإنسان لله تعالى وهذه العبودية هي قمة التحرر الإنساني ومناط الاستخلاف والعبادة . وهي تجربة حياة كاملة يتوازن فيها الأخذ والعطاء.

ثم إن العبودية لله تعالى تحرر الإنسان من كل حاجة من حاجات الدنيا حتى ما يعتبر أساسًا كلقمة العيش ولذلك كان الأنبياء عزلاً من السلاح في وجه جبابرة أشداء يمتلكون المال والجاه .

ثانيًا: العلم

والعلم هو الأساس الثاني للحضارة الإسلامية .

وقد رفع الله سبحانه وتعالى من شأن العلم والعلماء وفي الإسلام لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون والذين يخشون ربهم إنما هم العلماء وأول آية نزلت في القرآن الكريم : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١)خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(٣)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤)عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (العلق : ١ـ ٥).

ومن هنا فقد انتشر العلم في الحضارة الإسلامية وامتدت ميادين البحث والتجربة واتخذ علماء المسلمين من آيات الله تعالى في كتابه المحكم حافزًا وأفكارًا قائدة لهم في جميع نواحي الحياة.

وقد لاحظ علماء الغرب أن العلم في الإسلام قد انبثق من القرآن الكريم ـ كما

أشار إلى ذلك «موريس بوكاي» في كتابه عن «التوارة والإنجيل» .

والإسلام يوجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ويستخدم طاقاته الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

كما يوجه إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك : ١٥) .

وقد فرض الله سبحانه وتعالى العلم على المسلمين وهو مرتكز على العقيدة في أصفى مبادئها فخاطب العقل والقلب معًا وهي ميزة لم تشاركها فيها حضارة أخرى في التاريخ فأنشأت نظامًا قائمًا على مبادئ الحق والعدل، وفكرًا قائمًا على الدين والعقيدة .

وهي الحضارة الوحيدة التى لم تنفصل فيها الدولة عن الدين والتفاضل فيها بالتقوى والخدمة العامة للناس.

ثم إن العلم والتكنولوجيا النابعة منه والأخلاق التى جاء بها هي أمور لها معنى وأهمية لدى البشر ويمكن أن تصلح أساسًا لقيام حضارة عالمية واحدة .

والمذهب التجريبي في أصله مذهب إسلامي يقول «جب» في كتابه «الاتجاهات الحديثة في الإسلام» (كما أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت في تقوية تقدم المعرفة العلمية العالمية مساعدة مادية ملموسة والتى ـ عن طريق هذه الملاحظات ـ قد وصل المنهج التجريبي إلى أوربا في العصور الوسطى).

ثالثًا: الإنسان

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة شاملة متماسكة من جميع النواحي في وجوده وفي حقيقته وفي رسالته في هذه الحياة .

فالإنسان صاحب أمانة عهد الله تعالى بها إليه وهي عمران الأرض طبقًا لمنهج الله تعالى والتمتع بخيراتها في إطار الحق والعدل ـ وقد جاء الإنسان إلى الأرض بلا

مشكلات لأن هذه هي طبيعة حياة الإنسان على الأرض ويستطيع أن ينشئ حضارة عن طريق المعاناة والاجتهاد والعمل المستمر الخطأ والصواب.

كما يستطيع أن يقبل على وظيفته في الحياة متفائلا مستعدًا للكفاح والجهاد وبهذه الروح أقبل المسلمون بمثلهم وحكامهم على عمارة الأرض وإنشاء الحضارة فيها فكان لحضارتهم عظمتها وشأنها في التاريخ الإنساني كله.

والإسلام يعمل على حفظ هذا الإنسان بكافة الطرق ومن ذلك وصله با لله تعالى وتحرير وجدانه من الخوف من أي شئ ما عدا الله خالقه ومن ذلك أيضًا إبعاده عن كل ما يضر صحته وعقله وروحه .

فالتمتع بالصحة الجسمية والصحة النفسية أساس في الإسلام ومن هنا فقد نظم الزواج وتربية الأطفال وحدد دور كل فرد في الأسرة - والزواج أساس الإنجاب . والصلاة والزكاة والصيام والحج أسس الصلة با لله تعالى .

وقد وضح الإسلام للناس جميعًا وحدة «النوع البشري - فهم جميعًا من ذكر وأنثى» وقد جعلهم الله تعالى شعوبًا وقبائل ليتعارفوا وطلب منهم أن يتعاونوا على الخير لا على الشر» .

والمسلم - بذلك - يحس بانسجامه مع الكون أيضًا . فا لله سبحانه وتعالى خلق له ما في الأرض وسخر له الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبحر ليأكل منه لحمًا طريًا ويستخرج منه حلية يلبسها - والأنعام خلقها له فيها دفء ومنافع ومنها يأكل وللناس فيها جمال حين يريحون وحين يسرحون وتحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وخلق الخيل والبغال والحمير ليركبوها وزينة وأنزل من السماء ماء لهم منه شراب ومنه شجر وبه ينبت لهم الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات.

والنفس البشرية فيها الاستعداد للانتقال الكامل من حياة إلى حياة ومن نظام إلى نظام أكمل منه وأنظف ولابد من إحلال التصورات الإسلامية محل التصورات الجاهلية.

والمؤمن يشعر باستعلائه بالإيمان حتى في وقت الهزيمة ـ فهو يستعلي بشعوره وتقديره للقيم الإسلامية مع ضعف القوة وقلة العدد والمال وهو لذلك لا يتهاون أمام آية قوة لأنه يحس بأن الله تعالى معه وهو ناصره في النهاية .

ويهدف الإسلام إلى تربية الإنسان الصالح الذي يؤمن بالخير والعدل والمساواة بين الناس جميعًا والذي يسير على منهج الله تعالى في تحقيق وظيفته في هذه الحياة كما يربيه على التوازن والوسطية في كل أعماله .

وبذلك يكون متميزًا على جميع مخلوقات الله تعالى ويكون جديرًا بتحقيق وظيفته في هذه الحياة . وتمتع مجموعات من الناس بالحياة الدنيا ليس دليلاً على صحة سلوكهم ومعتقداتهم لأن كل ذلك خارج عن ميزان الإسلام وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ(١٩٦)مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران : ١٩٦، ١٩٧)

ومن هنا كانت وظيفة المسلمين العمل المستمر حتى يحققوا وظيفتهم طبقًا لمنهج الله تعالى .

رابعًا: المادة:

والمادة عنصر أساسي في الحضارة الإسلامية ولكنها ليست هدفًا في ذاتها إنما الهدف عمارة الأرض طبقًا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى والقيم الخلقية عنصر أساسي في نشاط الإنسان المسلم ولذلك فقد حرم الإسلام وأد البنات وحرم الربا كما حرم كل ما يؤثر في الصلات الاقتصادية بين الناس كما حرم الخمر وكل ما يؤثر في عقل الإنسان وفي جسمه .

ثم إن جميع القيم الاقتصادية مرتبطة من حيث التأثير والفاعلية بمجالات خاصة ـ تتصل بالعوامل الإنسانية ـ ثم إن تحقيق وظيفة الإنسان في الأرض لا يتحقق بقوة الجسم والمادة فحسب ولكنه يتطلب شفافية الروح والتقوى أيضًا وخطأ الحضارات المادية أنها ركزت عنايتها على تضخيم الحياة المادية من غير أن تعير الجانب المعنوي والخلقي أي اهتمام وكانت النتيجة أن الحضارة المادية لم تستطع أن توقف حركات

الانتحار والجرائم كما أنها لم تستطيع أن تخفف من السآمة التى تفتك بالإنسان الغربي.

إن النجاح المادي مرغوب فيه ولكنه ليس غاية في ذاته - فالفائدة من كل نشاط أن يكون عنصرًا في الفضائل الخلقية ولذلك فإن عبادة الله تعالى في أوسع معانيها تؤلف من الإسلام معنى للحياة الإنسانية ونلاحظ أن رسالة الإسلام توجه الإنسان إلى العمل الدائم في جميع المجالات ومنها الصناعة كما توجهه إلى العناصر التى تعتمد عليها ومنها الحديد والانتفاع به في مجالات كثيرة ومنها رد الاعتداء يقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد : ٢٥) .

فالحديد صنو الكتاب في أداء وظيفة الإنسان في هذه الحياة .

خامسًا: الوقت:

والوقت عنصر أساسي من عناصر الحضارة الإسلامية وهو لا يقدر بمال - ولذلك فإن الناس يتحدثون عن أوقات العمل التى تذهب ولا تعود ولا تسترد وفي الأثر «ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: ياابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة» .

وأركان الإسلام تبين مدى أهمية الوقت في الإسلام فالصلاة لها أوقات محددة والزكاة كذلك والصوم له شهر محدد وكل يوم يصوم فيه المسلم له بداية محددة ونهاية محددة وكذلك الحج له أعمال محددة في أوقات محددة فإذا مضى وقت طويل أو قصير دون عمل - فمعنى ذلك أننا افتقدنا الضابط الذي يربط بين الأشياء وأهدافها لأن سياستنا تجهل وسائلها وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا وفكرتنا لا تعرف التطبيق.

والإسلام يأمر بالعمل في جميع الأوقات حتى إذا قامت الساعة وفي يد المسلم فسيلة فعليه أن يزرعها وله بذلك أجر .

* * *

وظيفة الحضارة في الإسلام

الإسلام هو الدين الذي جاء به رسل الله جميعًا وهو يعني إسلام الوجه لله رب العالمين وذلك يكون بالاستجابة الكاملة لأوامره ونواهيه اختيارًا مع الصدق والإخلاص وتبرئة العقل والقلب من كل شوائب الشرك في الظاهر والباطن ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ**﴾ (الأنعام: ٢١٢) .

وهذا المفهوم للدين يختلف عن مفهومه لدى المسيحيين وفي ذلك تقول مريم جميل اليهودية التى اسلمت وقالت في كتابها «الإسلام بين النظرية والتطبيق» .

(إن الهوة السحيقة التى تفصل بين النصرانية والإسلام؛ هي في الأساس تقبل الدينونية ـ ويقصد بها الفلسفة التى تزعم أن العقيدة الدينية تختص بقطاعات جزئية في حياة الانسان ثم تنحى عن أي تأثير حاسم في المصالح العامة ـ والدينونية التى تحصر الدين في قطاع الشؤون الخاصة الفردية المحضة؛ هي أساس الحضارة الغربية المعاصرة، وهي أصل كل انحراف لمبادئ النصرانية عن الإسلام) .

والأخلاق لها المحل الاول في نظرة الإسلام وفي مختلف ميادينه وأنشطته .

ـ سواء أكان ذلك في الحكم أو العلم أو التشريع أو الحرب أو الاقتصاد أو الأسرة تشريعًا وتطبيقًا .

وقد لاحظ أهمية الأخلاق في الإسلام بعض المستشرقين الغربيين ومنهم «كريس موريسون» رئيس أكاديمية نيويورك الأسبق فقال: (إن الاحتشام والاحترام والسخاء وعظمة الاخلاق والقيم والمشاعر السامية وكل ما يمكن اعتباره نفحات إلهية؛ لا يمكن الحصول عليها عن طريق الإلحاد ـ فالإلحاد نوع من الإنانية حيث يجلس الانسان على كرسي الله ولسوف تمضي الحضارة الغربية بدون العقيدة والدين ـ وسوف تحول النظام إلى فوضى وسوف ينعدم التوازن وضبط النفس وسوف ينتشر الشر في كل مكان وأنها لحاجة ملحة أن نقوى صلتنا وعلاقتنا بالله) .

والتسامح الديني الذي وجد في الإسلام لم يعرف له مثيل في الدنيا ـ وكان من أسس الإسلام أنه لا إكراه في الدين وأن القتال هدفه حفظ حرية العبادة لجميع الناس لا للمسلمين فقط وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾ (الحج : ٤٠).

وإذا كان الإسلام هو الموقف الفكري والنفسي للإنسان فإنه موقف جميع المخلوقات أيضا ـ فالكون كله مسلم الله والمخلوقات كلها ساجدة لله تعالى وهذا ما احس به الفيلسوف الفرنسي «ارنست رينان» الذي اشتهر بحرية الفكر فقال: (ما دخلت مسجدًا إلا هزت نفسي عاطفة شديدة وأحسست بأسف شديد بأني لست مسلمًا) .

والإسلام يوجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقة في المجتمعات ويستخدم طاقاته الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الرعد: ١١) كما يوجهها إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان فيقول: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾ (الملك :١٥) .

وقد فرض الله سبحانه وتعالى العلم على المسلمين وهو مرتكز على العقيدة في أصفى مبادئها ـ فخاطب العقل والقلب معًا وهي ميزة لم تشاركها فيها أية حضارة أخرى في التاريخ فانشأت نظامًا قائمًا على مبادئ الحق والعدل وفكرًا قائمًا على الدين والعقيدة.

وهي الحضارة الوحيدة التى لم تنفصل فيها الدولة عن الدين والتفاضل فيها بالتقوى والخدمة العامة للناس ثم إن العلم والتقنية النابعة منه والاخلاق التى جاء بها هي أمور لها معنى وأهمية لدى البشر ويمكن أن تصلح أساسًا لقيام حضارة عالمية واحدة .

والإسلام يعمل على حفظ الانسان بكافة الطرق ومن ذلك وصله بالله تعالى وتحرير وجدانه من الخوف من أي شيء ما عدا الله تعالى، ومن ذلك إبعاده عن كل ما يضر بصحته أو عقله أو روحه ـ فالتمتع بالصحة الجسمية والصحة العقلية والصحة النفسية أساس في الإسلام ... ومن هنا فقد نظم الزواج وتربية الاطفال وحدد دور

كل فرد في الاسـرة وجعل الزواج أساس الإنجاب وجعل الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج أسس الصلة بالخالق سبحانه وتعالى .. وقد وضح للناس جميعًا وحدة النوع البشري ـ فهم جميعًا من ذكر وأنثى ـ وقد جعلهم الله سبحانه وتعالى شعوبًا وقبائل ليتعارفوا وطلب منهم أن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الشر، والمسلم بذلك يحس بانسجامه مع الكون أيضا ـ فالله سبحانه وتعالى خلق له ما في الأرض وسخر له الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبحر ليأكل منه لحمًا طريًا ويستخرج منه حلية يلبسها .

والأنعام خلقها له فيها دفء ومنافع ومنها يأكل وللناس فيها جمال حين يريحون وحين يسرحون وتحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وخلق الخيل والبغال والحمير ليركبوها وزينة وأنزل من السماء ماء لهم فيه شراب وفيه شجر وبه ينبت لهم الزرع والزيتون والنخيل والاعناب .

وتمتع مجموعات من الناس بالحياة الدنيا وزينتها ليس دليلا على صحة سلوكهم ومعتقداتهم ـ لأن كل ذلك خارج عن ميزان الإسلام يقول الله تعالى في ذلك : ﴿**لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ(١٩٦)مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ (آل عمران) .

ومن هنا كانت وظيفة المسلمين العمل المستمر حتى يحققوا وظيفتهم في هذه الحياة يقول توينبي: إن مستقبل الحضارة الإسلامية يتوقف على الاكثرية المطلقة من الجماهير الراغبة التى تدرك ذاتها وتعمل على تقوية نفسها لصد السيطرة الغربية والتحرر من الاستعمار بأوسع مظاهره والعمل على تنمية حضارتها الذاتية .

ومن هنا فإننا نرى أن أول أهداف الحضارة الإسلامية ـ إذا ما اكتملت عناصرها ـ الرقي الداخلي أما الحضارة الغربية فإن اعتبارات الانتفاع المادي تسود جميع مظاهر النشاط الإنساني أما الأخلاق فوجودها نظري وليس لها قوة في المجتمع .

ولذلك فإن الحضارة الغربية تفتقد أهم عنصر لها وهي في طريقها إلى الانهيار يقول «ألكسيس كاريل» في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) (إن الحضارة الغربية آخذة في

الانهيار - لأن علوم الجماد قادتنا إلى أرض ليست لنا فتقبلنا هداياها بلا تبصر ولا تمييز - ولذا أصبح الفرد متلصصا فاجرًا نفعيًا غير قادر على التحكم في نفسه وفي مؤسساته).

لقد أبطلت الحضارة الإسلامية .. العصبية العرقية والحقد الجنسي - وشقت الطريق إلى الأخاء الإنساني وإلى العدل والمساواة وإلى نشر المحبة والمودة في كل جوانب الحياة.

والحضارة الإسلامية لم تعرف الطبقات الاجتماعية - ولكن التاريخ الأوروبي كله منذ أيام اليونان والرومان مملوء بالحروب بين الطبقات لأن المادة دفعتهم إلى الطغيان عن طريق الإغراء بمزيد من المادة وحدها وترك القيم الإنسانية .

وهذه هي التربة التى تربت فيها الحضارة الغربية الحديثة وقد عملت مؤثرات أخرى في أثناء تطورها على الرغم من أنها بدلت وطورت في ذلك الإرث الثقافي الذي ورثته - ولكن الحقيقة الثابتة أن كل ما هو حقيقي اليوم في الاستشراف الغربي للحياة والأخلاق يرجع إلى الحضارة الرومانية - كما أن الجو الفكري الاجتماعي كان نفعيًا بحتا لا دينيًا بحتا... وهكذا أصبح الجو في الحضارة الغربية الحديثة من غير أن يكون لدى الأوروبي برهان على بطلان الدين المطلق كما تقول صاحبة كتاب (الإسلام على مفترق الطرق) لورا فاجليري.

والتفكير الأوروبي الحديث يترك الأخلاق مطلقة خارج نطاق الاعتبارات العملية .

والحضارة الغربية الحديثة لا تجحد الله ولكنها لا ترى فائدة لله في نطاقها الفكري الحالي .

ومن هنا فإن الحضارة الإسلامية قد تميزت في صياغة الفرد عقديًا وفكريًا وسلوكيًا بحيث يكون لديه شعور شامل للحياة من جميع نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية وغيرها .

ومن هنا أيضًا تميزت الحضارة الإسلامية بالنزعة الإنسانية في أجواء الحب والتسامح والتعاون والمساواة أمام الله تعالى وأمام القانون وفي كيان المجتمع تساويًا لا أثر فيه لاستعلاء عرق أو فئة أو أمة على أمة .

والتقدم الأخلاقي: هو جوهر الحضارة الإسلامية فالأفراد والجماعات يجعلون آراءهم وعواطفهم وأعمالهم موجهة للخير المادي والروحي ـ للأفراد والجماعات للمجتمع الإسلامي وللمجتمعات البشرية كلها .

ومن هنا كانت الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التى تصلح لكل زمان ومكان والتى نرجو أن تقوم بدورها بعد فشل الحضارة الغربية الحديثة وقرب انتهاء دورها .

* * *

نظرة القرآن الكريم إلى الإنسانية :

القرآن الكريم ينظر إلى الإنسانية في التاريخ على امتداد الزمان والمكان على أنها وحدة، فالوجود من ماء والناس كلهم من آدم، وآدم من تراب يقول ا لله تعالى : **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ﴾** (المؤمنون : ١٢) .

وإذا كان أصلهم واحدًا فإن الحكمة من وجود شعوب وقبائل إنما هو التعارف يقول الله تعالى : **﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾** (الحجرات: ١٣) . فالفرقة بين الناس والشعوب ليست طبيعية ومهمة الانبياء إعادة الناس إلى الفطرة السليمة. ولذلك فإن ا لله سبحانه وتعالى يربط الانبياء جميعًا برباط واحد ثم يربطهم بمحمد ﷺ لذلك كان من الخطر على المؤمن أن يؤمن بمحمد ﷺ ولايؤمن بغيره يقول الله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ باللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً(١٥٠)أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾** (النساء: ١٥٠، ١٥١) لأنه بذلك سيقف أمام أصل ثابت بنيت عليه الإنسانية .

وفي سورة الأنبياء سرد سريع للأنبياء عليهم السلام يعقب على ذلك بقوله: **﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾** ثم يقول: **﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾** (الآيات ٩٢، ٩٣) .

ثم يستمر السرد ليبين لنا أن مشكلة البشرية الأولى تكمن في الاختلاف.

ويربط القرآن الكريم بين الأنبياء جميعًا باستعمال لفظ (الإسلام) فنوح عليه السلام يقول : ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس :٧٢) .

وإبراهيم عليه السلام قال : ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة : ١٣١) ويبلغها لأبنائه ويعقوب عليه السلام يقول : ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢) ويوسف عليه السلام يقول ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف :١٠١). وموسى عليه السلام يقول لقومه : ﴿.. فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس : ٨٤) .

وعيسى عليه السلام يقول : ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٥٢) ثم يربط هذا كله بقوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦) .

ويرسم القرآن الكريم مبادئ هبوط دول وارتفاع أخرى حين تكلم عن نهاية قوم عاد وثمود وسبأ وأثبت التاريخ ذلك في سبأ ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ..﴾ (سبأ ١٦) فقد كانوا في الأصل موحدين مع سليمان ثم تركوا ذلك فجزاهم تعالى بفعلهم وكشفت النقوش ذلك فذهب السد بالسيل العرم .

ونحن نؤمن أن الدولة لا تقوم إلا على أساس الدين الإلهي.

والغربيون ينظرون نظرة مخالفة لذلك، ويعملون جاهدين على أن تكون نظرة المسلمين مثل نظرتهم. ولذلك فإننا نجد مؤسسات غربية كثيرة تسير في هذا الاتجاه حتى لا تتكون دولة اسلامية على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية .

لقد أمّ النبي ﷺ الأنبياء جميعًا في المسجد الأقصى في ليلة الإسراء. وهو يعتبر قلب الدائرة للحضارات الوسطى فإن النبي ﷺ تسلم الراية منهم وارتفع إلى السماء والقرآن الكريم يربط الجميع برباط واحد وهو رباط السماء.

النبوات :

وحين ندرس تاريخ النبوات نجد أن المؤرخين الغربيين فصلوا النبوات عن التاريخ لأنهم وضعوه تحت علم اللاهوت ـ وعلم اللاهوت ـ يمزج بين الفلسفة والتاريخ

ولذلك فقد اختلفوا في فرعون وموسى .

ويظهر أن اليهود قد تعمدوا أن يفصلوا كل شيء عن النبوات الأولى حتى لا تتعارض الآثار مع التوراة المحرفة وقد كان لليهود الأثر الأكبر في طمس المعالم التاريخية للنبوات .

ومما يلاحظ أن الذين تولوا الكشف عن الآثار المصرية مثلا كانوا من اليهود ولايمكن أن يكون هذا من باب المصادفة وقد اكتشفوا جثث ملوك من عصور قديمة تبلغ ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح - أما ابراهيم وموسى وعيسى ويوسف فلا نجد من آثارهم شيئا - وليس من المعقول أن تغفل الآثار تاريخهم ذلك لأن المصريين مولعون بكتابة كل جديد فلماذا لا نجد كلمة واحدة عن هؤلاء الأنبياء؟

والقرآن الكريم تكلم كثيرًا عن الأنبياء عليهم السلام وما يقوله القرآن الكريم يتفق مع التاريخ ومن ذلك دولة سبأ فقد اكتشفت البعثة الأمريكية الآثار كما ذكرها القرآن الكريم في دولة سبأ الأولى التى قامت على التجارة . ودولة سبأ الأخيرة التى قامت على الزراعة .

وقد دلت الآثار على أن مدنا كثيرة أنشئت على شكل مستعمرات لتستقبل التجارة و لم يكن هذا معروفًا من قبل القرآن الكريم - وسد مأرب وما يستتبعه من قنوات تأخذ منه هذه الأخبار ويجمعها القرآن الكريم في كلمات قليلة: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً**﴾ (سبأ : ١٨) .

وأثبت المؤرخون أنهم غيروا التجارة من البر إلى البحر للترف والظلم فحطمت أساطيلهم ، يقول الله تعالى : ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ (سبأ : ١٩) .

وقد كتب كثير من العلماء عن هذه الدولة وأصبح المثل العربي (تفرقوا أيدي سبأ) مشهورًا عند جميع العرب.. وأكثر الأنبياء ورودًا في القرن الكريم إبراهيم وموسى : وإبراهيم أبو الأنبياء وموسى رائد سلسلة أنبياء وملوك بنى اسرائيل الطويلة، والدور الواسع المعقد المتشعب الذي لعبه كل منهما في ميدان الدعوة إلى ا لله الواحد .

والمساحة الزمانية والمكانية التي شغلاها والتي تؤكد معطيات الآثار المعاصرة على أفرادها وشمولها وخطورتها تبين الأسباب الحقيقية وراء هذا التأكد في المواضع المختلفة على تجربة هذين المبعوثين الإلهيين مع عدد من الجماعات.

العروض القرآنية:

يعرض القرآن الكريم مواقف الأفراد والجماعات إزاء عدد من الأحداث التاريخية وردود الأفعال التي آثارتها .

وهناك عدد من التجارب التي مارسها أفراد عاديون سلبًا كأصحاب الحجر وقوم لوط وإيجابًا مثل أهل الكهف وأصحاب الأخدود وقادها ملوك وزعماء كبار مثل فرعون وقارون وذي القرنين.

ويلاحظ أن بعض آيات القرآن الكريم تتحدث عن المستقبل مثل قوله تعالى :﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ (الفتح : ٢٨) وقد رأى رسول الله ﷺ كثيرًا من هذا الذي وعد الله تعالى به المسلمين مثل الانتصار في غزوة بدر وفتح مكة وعام الوفود .

والغرض من إيراد العروض التاريخية:

- إثارة الفكر البشري والبحث الدائم عن الحق وتقديم خلاصات التجارب البشرية عبرا يسير على هديها أصحاب العقول المفكرة ، يقول الله تعالى : ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾ (يوسف ١١١) .

ويلاحظ أن القرآن الكريم يقدم لنا أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع إلى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية ـ وهذا يتمثل في التأكيد المستمر على قصص الأنبياء وتاريخ الجماعات والأمم السابقة .

- إظهار وجود سنن ونواميس تخضع لها الحركة التاريخية في سيرها وتطورها وانتقالها من حال إلى حال. والقرآن الكريم يلقي ضوءًا ايضاحيًا على ذلك فيقول: ﴿**سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ ، والقرآن

الكريم ينظر إلى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحاتها جميعها ـ فرؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتدادها الزمني الماضي والحاضر والمستقبل ـ فهو تفسير واقعي دون تبرير أو تحوير ومن خلال ذلك ينطلق إلى اهدافه ومثالياته وآفاقه فهو يسمى معركة حنين هزيمة وفرارًا ويخاطب مهزومي أحد بأنهم السبب وراء تلك الهزيمة ويعلم المسلمين ألا يبرروا أخطاءهم وينحرفوا في تفسير الأحداث والوقائع كما يعلمهم أن يأخذوا من هذه الرؤية الواقعية للتاريخ دروسًا في صياغة العالم المرتجى.

والقرآن الكريم ينظر إلى البعد النفسي الذي يغور في أعماق النفس البشرية فيلامس نظرة الإنسان وتركيبه الذاتي والحركة الدائمة في كيانه الباطنى ويمتد ليشتبك في العلاقات الشاملة للمصير .

والتاريخ يقدر في القرآن الكريم وحدة زمنية تتهاوى فيها الجدران التى تتصل بين الماضي والحاضر والمستقبل وتتعانق هذه الأزمان عناقًا مصيريًا فتبدو حركة التاريخ التى يتسع لها الكون حركة واحدة تبدأ يوم خلق الله تعالى السموات والأرض وتبدو نزعة الإسلام الشمولية بانفتاحه الكامل على كافة القوى الفاعلة في التاريخ العقلية والوجدانية والروحية والمادية .

صلة الإنسان بالكون في الحضارة الإسلامية

الإسلام : هو الدين الذي يسكب في الحياة كلها السلام ، السلام الذي يحس به المسلم في داخله بالهدوء والراحة ، وتحس به الاسرة فتحس بالسكن والمودة ، ويحس به المجتمع فيحس بالامن والمساواة والعدالة ، والله سبحانه وتعالى هو السلام الذي خلق الإنسان وكرمه وفضله على سائر مخلوقاته وهو به رحيم ـ فقد أرسل إليه الرسل لهدايته وسخر له الكون ليكون في خدمته .

والمسلم الحقيقي يعيش في سلام دائم فلا قلق ولا حيرة ولا صراع ـ كما في الحياة المادية حيث تداس القيم والحريات بلا تحرج ولا حياء .

إن بين ضمير المسلم وحقائق الحياة ألفة ومواءمة فطرية ـ فإذا نظر الإنسان فيها بعقله وحصل معانيها لنفسه فإنه يكون قد حقق المواءمة بينه وبين الكون وهو

التجانس الذي يكتب له بـه استقرار الضمير ، وبه يصبح الناس على بصيرة – وما نراه من بلبلة الفكر وقلق الضمير في الحياة الغربية سببه أن الصلة الفكرية والروحية بين شعوبها وبين الكون لا تحقق المواءمة التي تجعل النفس مطمئنة ومستقرة .

والإسلام دين عالمي في نظرته للأفراد والجماعات والكون في علاجه المشكلات، ولا يرضى بإقامة الحواجز التى نشأت في العصور المختلفة ـ لأنه دين يهدف إلى جمع الكون وما فيه تحت راية واحدة . والمنهج الإسلامي محدد للسلوك وموجه للتفكير وهو لذلك يعد أعظم ركيزة يقوم عليها سلوك المسلم في الحياة ليسير في الطريق المستقيم .

الإنسان والكون: والإسلام يرى أن الكون كله وطن للإنسان والصلة بينهما تقوم على أسس فطرية وإذا كنا نعيش على الارض بأبداننا فإننا نحيا في هذا الكون بحواسنا وعقولنا الحياة الحافلة بأصدق المعاني لأن خالق الإنسان هو خالق الكون ـ ولذلك فإن الكون صديق للإنسان منذ القدم . وفي قصة أهل الكهف التى وردت في القرآن يقول الله تعالى :

﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (الكهف: ١٦)

فهؤلاء الفتية هجروا ديارهم وهربوا من مجتمعهم ووجدوا في الكف الأمن ـ لأن الكهف فضاء فسيح تنتشر فيه رحمة الله تعالى وتشملهم بالرفق واللين والأشياء التى يفتقدونها بين أهليهم .

ورسول الله ﷺ تعاطف الكون معه فساعد على إخفائه في غار ثور ومعه صاحبه أبو بكر فالشجرة قد مدت ظلالها والحمامة باضت والعنكبوت نشر خيوطه حتى ظن المشركون أنه لا يمكن أن يكون أحد في الغار وقال قائلهم : « إلى هنا وانتهى الأثر فإما أن يكون قد صعد إلى السماء وإما أن يكون قد نزل إلى الأرض» بل إن من تعاطف الكون مع المؤمن وحبه لانسجامه معه في سلوكه فإن الجماد يتأثر لوفاته وفي ذلك يقول الرسول ﷺ « إذا مات المسلم بكى عليه موضعان موضع في الأرض وهو موضع سجوده وموضع في السماء وهو موضع رفع عمله» البخاري.

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن جابر بن سلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بمكة حجرًا كان يسلم عليّ ليل بعثت إني لأعرفه الآن» .

كما أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: خطب رسول الله ﷺ إلى جذع نخلة فلما صنعوا له المنبر وخطب عليه حن الجذع حنين الناقة فنزل رسول الله ﷺ فسكن .

الكون يعبد الله: ولا يتصور كثير من الناس أن أي شئ في الكون يعبد الله ـ لأن ذلك لا يدخل في عالم الحس ولكن القرآن الكريم يوضح ذلك في آيات كثيرة حتى يتنبه الغافلون فيسيروا مع الكون في اتجاهه فيتم الانسجام الكوني وبذلك يتحقق الاطمئنان الكامل للإنسان وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الجمعة : ١)

كما يقول : **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** (الإسراء : ٤٤) .

وما في الكون أيضا يسجد لله كالانسان المؤمن : **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾** (الحج :١٨) .

أمم أمثالكم : الإنسان يفهم أن الأمة بما فيها من معنى الجماعة ذات اللغة والهدف الواحد قاصر على البشر ولكن القرآن الكريم يبين خطأ هذا المفهوم فيقول:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام : ٣٨) .

وقد اختص الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان عليه السلام بأن علمه لغة الطير يقول الله تعالى : **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾** (النمل :١٦) كما أنه حشر له جنوده من الجن والانس والطير فهم يجمعون ثم يساقون ـ حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة: **﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا**

مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ(١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ثم تفقد سليمان الطير فلم ير الهدهد : ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ .

وجاء الهدهد فقال لسليمان عليه السلام: اطلعت على ما لم تطلع عليه وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(٢٣)وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (النمل:١٨: ٢٣)

وهكذا كان للهدهد دور في إخبار سليمان عليه السلام بقصة ملكة سبأ وكان من نتيجة ذلك دخولها في الإسلام ومعها قومها .

المسلم متعاطف مع الكون: وكما أن الكون متعاطف مع الإنسان المسلم فإن المسلم أيضا متعاطف مع الكون يقول رسول الله ﷺ « أحد جبل يحبنا ونحبه» وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «بينما رجل يمشي في الطريق اشتد عليها العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا بكلب يلهث ويأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له» قالوا : يارسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: في كل ذات كبد رطبة أجر .

الكون غير متعاطف مع الكافر:

الكافر يفسد في الأرض مع أن وظيفة الإنسان عمارة الكون ولذلك فإن القرآن الكريم يحكي قصة فرعون وقومه وما فعلوه مع موسى عليه السلام ومن آمن معه با لله من السحرة ـ فكان نصيب فرعون وجنوده الغرق ـ فلم تحزن عليهم السماء والأرض مع أنهم تركوا الكثير من نعم الله سبحانه وتعالى يقول القرآن الكريم : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٢٥)وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(٢٦)وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ(٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ﴾ (الدخان : ٢٥ ، ٢٨) .

ويروى الحديث الشريف قصة امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فيقول : «دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا فلا هي اطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض) البخاري .

الكون والحضارة الغربية : الخلفية الثقافية للحضارة الغربية مأخوذة من الحضارة اليونانية القديمة وهي تقوم على الصراع المستمر مع الناس ومع الآلهة ومع الكون .

وقد كتب الأمريكي المعاصر «اليكس هالي» كتابه (الجذور) ليتحدث فيه عن زنوج أمريكا الذين لهم جذور عميقة وعريقة في افريقيا وأنهم أصلا مسلمون ـ لكن الغربيين اختطفوهم ونقلوهم إلى امريكا وعذبوهم وباعوهم ..

وقد أصبح هذا السلوك جزءًا من تكوين الغربيين ـ فهم يدمرون كل شيء في كل زمان وفي كل مكان ومن ذلك القنابل الذرية التى القيت على نجازاكى وهيروشيما .

ومن ذلك ما يحدث في أيامنا الحاضرة في البوسنة والهرسك وفي الفلبين وفي فلسطين وفي غيرها ثم أن الصراع في الغرب والتدمير لا تراعى فيه القيم ولا الأخلاق ولا الحرمات .

والبرتغاليون: الذين اكتشفوا رأس الرجاء الصالح وجدوا مدنا تموج بالحضارة والتقدم وشهدوا آلات جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل يستخدمها أهل البلاد في تنقلاتهم بين شواطئ افريقيا والشواطئ العربية والاسيوية ـ وشهدوا صلات ودية بين الدول أقامها الإسلام ـ ولكن المستعمرين ما لبثوا أن أشعلوا النيران فيها فارتفعت ألسنة اللهب وغطى دخانها الأسود وجه الحياة وبذلك غاب أندلس الشرق عن وجه الحياة .

لو أدرك الأمريكيون هذا؟

وحين كنت مدرسًا في جامعة قطر جاء خبير أمريكي وتناقشنا في بعض الموضوعات ومن ذلك التعبيرات التى تسود العالم الغربي مثل: غزو الصحراء والانفجار المعرفي.

وقلت له: إن الغرب أخذ خلفيته الثقافية من الحضارة اليونانية القديمة التى تقوم

على الصراع المستمر مع كل شيء حتى بين الانسان وأبيه وبين الإنسان وأخيه بل بين الإنسان ونفسه ولذلك جاءت هذه التعبيرات بينما الحضارة الإسلامية أساسها القرآن والسنة ولذلك فإن المسلم يحس بأن الكون صديق له وقد لجأ أصحاب الكهف إلى الكهف هروبًا من أهليهم، والرسول ﷺ يقول: أحد جبل يحبنا ونحبه «ولذلك فإننا نقول: تعمير الصحراء والصحراء لا تقاومنى وأنا أعمرها لأني لا أغزوها .

كما نقول التراكم المعرفي لأن زيادة المعارف ليست خطرا على الإنسان كالقنبلة التى تنفجر فتهلك الحرث والنسل فقال الخبير الأمريكي: وما رأيك في غزو الفضاء؟

قلت: الفضاء من الكون والكون صديق للإنسان فنحن نرتاد الفضاء ولا نغزوه وهو لا يقاومنا . فسكت هنيهة ثم قال: لو أدرك الأمريكيون هذا لكان تلوث البيئة أقل .

وظيفة المسلم:

وظيفة المسلم في هذه الحياة ضخمة وأثره فيها كبير فهو جزء من الكون والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته . وهو يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ما سواه من استذلال النظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان . والمسلم يحس بأن الكون صديق له وهو يتعامل معه بكل ما فيه ومن فيه على أساس من التعارف والتعاون والألفة والمودة وهو ولذلك يحس بالأمن والاطمئنان ـ كما يحس بأن للحياة طعمًا غير مالها في نفوس من لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ـ ذلك لأنه يعيش في جو صديق يتعاون معه في أداء وظيفته .

والمسلم: يعرف الغاية من وجودة الانساني ومن وجود المخلوقات كلها حوله وارتقاء المسلم في سلم الإنسانية ينبع من شعوره هذا ودقة تصوره لوجود الناموس والارتباط بالأحداث والمسلم يتلقى تشريعات الخالق سبحانه وتعالى تلقيًا خاصًا لينفذ مهمته في هذا الكون ويؤثر قانون الله على ما عداه ـ لأنه هو الذي ينسق بين حركة البشر وحركة الكون العام .

والوحدة الكونية: التى يحس بها المسلم تفيد السلام الدائم بين الإنسان ونفسه

وبين الإنسان ومجتمعه وبين الانسان والكون وهذا السلام يطلق للروح نشاطها كما يطلق للجسد نشاطه ثم يوحد هذا النشاط ويتجه به إلى الخير والصلاح ـ إلى عمارة الارض والى تحقيق خلافة الله في الأرض وقد حقق المسلمون دورهم كاملاً حينما ساروا على منهج الله وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور وحققوا صلة الإنسان المؤمن بالكون .

والعالم كله الآن بحاجة إلى الصحوة الإسلامية التى تعيد صلة الألفة والمودة بين الانسان والانسان وبين الإنسان والكون حتى يعيش في أمن واطمئنان وراحة واستقرار.

حاجات الإنسان الأساسية في الحضارة الإسلامية :

ونجد في الحضارة الغربية نظريات اقتصادية رأسمالية لم تفلح في اعطاء الإنسان حاجاته الأساسية وقامت النظريات الاشتراكية والشيوعية تعالج هذه المشكلة ولكنها لم تفلح في ذلك بل إنها زادت المشكلة حدة لما صحبها من أساليب القمع وإثارة الكراهية بين فئات الشعب المختلفة .

ترى ما السبب في ذلك؟

إن السبب يكمن في إن هذه النظريات من البشر ـ والبشر فيه قصور ـ لأنه ينظر إلى الموضوع من زاوية ويغفل عن زوايا ويحل مشكلة مجتمع ويغفل عن المجتمعات الأخرى وقد يحل المشكلة في زمن ولايستطيع أن يحل المشكلة في أزمنة أخرى وإلى جانب ذلك فإن الإنسان يتأثر بحاجاته الخاصة كما يتأثر بحاجات مجتمعه الصغير أو مجتمعه الكبير ومن هنا فإن جميع النظريات البشرية سواء أكانت شرقية أم غربية غيرت وغيرت ثم اعترفت بالفشل في كل خطوة من خطواتها ولقيت ألوانا من المتاعب والثورات وحاولت حل المشكلات بأسلوب أو بآخر ولكن هذه الحلول كلها حلول مؤقته لم تفد إلا فترة قليلة ثم ثارت حولها المتاعب المختلفة .

الإسلام:

ولكن الأحكام الإسلامية مستمدة من القرآن الكريم ومن هنا كانت مجردة عن

الهوى ومنزهة عن مصلحة الفرد أو الجماعة على حساب أفراد أو جماعات أخرى.

كما أنها تفردت بالثبات مع الصلاحية لكل وقت ولكل بيئة على الأرض على حين أن القواعد البشرية كانت أثرًا لأحداث معينة استمرت زمنًا ـ ثم فشلت وأخيرًا اعترفت بالفشل، لقد جاء القرآن الكريم بجملة القواعد التى تؤلف فيما بينها نظامًا اقتصاديًا كاملاً واضحًا لشؤون الإنتاج والتوزيع بعد أن رفع مستويات الحضارة الفكرية والمادية .

وقد تفرد القرآن الكريم بحل المشكلة الاقتصادية حلاً سليمًا يصلح لكل المجتمعات البشرية في كل زمان ومكان لأنه يهدف في تنظيم النشاط الاقتصادي إلى وقاية المجتمع من تفاقم المشكلات ومن ثم فإنه يحصرها في أضيق نطاق .

كما يذهب إلى علاج الانحرافات البشرية في كل زاوية من زواياها ولا يتركها حتى تتجمع وتتراكم لأنها حينئذ تصبح مصدر خطر يهدد كيان المجتمع سواء أكان ذلك متمثلاً في إنتاج الثروة أو في توزيعها .

والأوضاع التفصيلية التى ذهب إليها الأئمة والمصلحون من أعلام الإسلام صدرت عن فهم صحيح للأفهام الكلية، ولذلك فإنها وضعت في إطارها العام، ومن ذلك أحكام الزكاة التى لاتمس مبدأ الفريضة ولا تحجب شيئًا من اثارها الاقتصادية وأن تباينت بشأنها المذاهب مع ملاحظة أن أحكام الزكاة لها شأن في تنشيط الاقتصاد لم يفطن اليه العلماء بعد، ومثل ذلك كل قاعدة جاء بها القرآن الكريم لتنظيم سلوك الفرد والجماعات حال إنتاج الثروة وحال توزيعها في شمول يضم الاستهلاك والادخار والتنمية والتملك .

إن السلوك الاقتصادي تحركه دوافع وحاجات يتعلق الإنسان بإشباعها ولولا هذه الدوافع ونزعات النفس المحرومة من ضوابط الدين القيم لما كان بطش القادرين وقتل الأبرياء ونهب خيرات الشعوب الضعيفة، ومن ثم الخلافات والحروب لقضية الدوافع أو الحاجات التى هي علة السلوك الاقتصادي أو السعي في تدبير المعاش .

حاجات الإنسان الأساسية في المفاهيم الغربية:

يعتز العالم الغربي بعقله ويرى أنه قد بلغ الكمال في كل تفكيره ومع ذلك فإن العلماء والمفكرين لم يتفقوا على شيء واحد في أي اتجاه وفي أي تفكير بل إن كل ما يقال ما هو إلا نظرية سرعان ما تناقش وتناقش حتى يظهر خطؤها وتبدأ نظرية غيرها وهكذا .

وفي حاجات الإنسان الأساسية يرى بعض المفكرين الغربيين أنها سبعة ويصل بها بعضهم إلى سبع عشرة حاجة وكثرت الخلافات والمناقشات و لم يتفقوا على شيء في شأنها.

وماسلاو مثلا الذي استنار بالتقدم العلمي وعاصر الكشف عن الطاقة النووية وارتياد الفضاء قال إن الحاجات الأساسية للإنسان على خمسة مستويات وأوصلها إلى سبع عشرة حاجة .

الجنس :

ويرى ماسلاو أن الدافع إلى الجنس الآخر هو من الحاجات الأساسية للإنسان ومعنى ذلك أن ارتباط الرجل بالمرأة له هدف هو القضاء على حالة مؤقتة من الحرمان أو التوتر النفسي أو الجنسي فإذا انقضت بإشباع الحاجة تحول الرجل إلى سبيله وما من دافع في هذا المجال يبقى على العلاقة بينه وبين المرأة فإن تجددت الرغبة فالنساء كثيرات كما يتناول الإنسان الطعام مرة في بيته ومرة وهو على سفر وتنقضي صلته بالمائدة بانقضاء حاجته لها وهذا ما قال به فرويد بعد ذلك إذ أسرف على نفسه إسرافًا شديدًا حين ظن أن الدافع الجنسي هو محور كل دافع إلى اتخاذ سلوك معين في الحياة.

أما الإسلام فإنه ينظر إلى العلاقة الجنسية نظرة مختلفة كل الاختلاف والقرآن الكريم رفع العلاقة بين الجنسين عن مستويات الحاجات الأساسية للإنسان وجعلها دعامة مميزة للعمران تقوم على المودة والرحمة في اتصال وفي نمو ـ مع نمو الأسرة ـ ثم إن الرابطة بين الزوجين تقوى بينهما بتقدم السن على أن الحاجة الجنسية لكل منهما تقل وتقل وليست هذه هي خصائص الحاجات التى تنقص الرابطة بها بمجرد إشباعها.

وقد تصدى كثير من المفكرين الغربيين لماسلاو وناقشوه مناقشات مستفيضة مبينين له خطأ أفكاره ومنهم تلميذه اداري ريتشارد وبينوا عدم صدق ذلك .

ولو أن العلاقة الجنسية كانت حاجة أساسية لأمكن التصرف في إشباعها على صور شتى كما هو معروف في الشذوذ الجنسي ما دام الأمر مجرد قلق وحرمان أو جوع جنسي كما يقولون شأنه في ذلك شأن الحاجة إلى الطعام فما على الفرد إلا أن يدفع الثمن فإذا بالطعام تحت تصرفه .

من هنا فإننا نجد أن القرآن الكريم قد أفردها بالذكر في مواضعها وبأسلوب خاص بها وحدها فقال ﴿**وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم: ١١) .

ويلاحظ أنه من أوليات النظريات العلمية أن وضع القاعدة لا يصح إلا إذا انطبق حكمها على جميع الحالات المماثلة فالجوع ظاهرة فسيولوجية لكل إنسان حي لا يستثنى منه فرد من أجل السن أو الدرجة الاجتماعية ولذلك فإن الحاجة إلى الطعام حاجة أساسية وعدم إشباع هذه الحاجة سيؤدى إلى الهلاك .

الحاجات الأساسية في الإسلام :

يقول الله تعالى في سورة طه : ﴿**فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى(١١٧)إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى(١١٨)وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى**﴾ .

فبينت الآيات الكريمة أن حاجات الإنسان الأساسية هي أربع حاجات وقد قرر القرآن الكريم أن آدم عليه السلام قد علم بأنه سيشقى إن أخرج من الجنة بسبب حاجات أربع وهذه الحاجات هي نفسها في كل زمان ومكان وعلى آدم وذريته أن يعمل في هذا الكون بعد أن أخرج من الجنة لتحقيق الحاجات الأساسية في هذه الحياة.

عليه أن يعمل في سبيل تدبير الطعام وهو أول الأسباب التى يتخذها الإنسان لكسب الرزق أو ما يعرف في العصر الحاضر بالدخل ومن الدخل ما يتبعه الإنسان في إشباع حاجاته ومنه ما يدخره .

ومن المدخرات تتجمع المدخرات التى تصبح رؤس الأموال الخاصة للفرد أو المجتمع ومن ثم يكون العمل هو السلوك الفطرى لحصول الناس على الأرزاق أو الدخول أو الثروات وعلى الإنسان أن يشقى .

والعمل في سبيل تدبير المعاش هو أصلاً واجب الرجل دون المرأة إذ أن المرأة تقع عليها واجبات أخرى بحكم اعدادها الفسيولوجي ومعنى ذلك أن الأصل هو أن يسعى الرجل سعيًا حثيثًا متصلاً لتدبير المعاش معاش الرجل ومعاش أسرته فالعمل معصوب برأس الرجل كما يقول الزمخشري .

وحاجات الإنسان الأساسية إذن كما قررها القرآن الكريم هي الحاجة إلى الطعام والحاجة إلى الكساء والحاجة إلى الشراب والحاجة إلى السكن .

أما صلة الرجل بالمرأة فهي قاعدة أزلية أو تنظيم إلهي أراد به عمارة الأرض وعمارة الأرض تقوم على دعامتين الرحمة والسكن والمودة التى تجمع بين الوالدين وتشد على كيان الأسرة، والدوافع النفسية التى تجعل الرجل يسعى في سبيل رزقه ورزق أسرته، وعلى الحضارة الغربية أن تنظر إلى الحضارة الإسلامية لتريح نفسها من الضياع وتسير في الطريق السليم الذي يضمن لها الأمن والاستقرار.

الأمة المسلمة في هذه الحياة تهدف إلى عمارة الأرض طبقًا لتعاليم الإسلام وإلى إقامة العدل فيها وتحقيق الأمن والمساواة بين المجتمعات المختلفة، وبذلك تكون الأمة المسلمة خير أمة أخرجت للناس، وبذلك تكون حياة المسلم لها أهميتها الكبرى ولها قميتها العظمى.

ولكي يستطيع المسلم في هذه الحياة أن يحقق وظيفته فلابد وأن تكون العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي قائمة على قواعد راسخة هي الاخوة في الإسلام بمعناها الإسلامي والتى قال القرآن الكريم فيها : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:٥٥)

وهذه الأخوة تتطلب من المسلم ألا يظلم أخاه ولا يسلمه وأن يكون دائمًا في حاجته وأن ينفس عنه كربه على قدر استطاعته وقد وضح الرسول ﷺ حق المسلم على المسلم في الحديث الذي رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه في قوله: «حق

المسلم على المسلم ست قيل وما هي يارسول الله؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه» .

ومن شجرة الأخوة في الإسلام تمتد الفروع التى تثمر ألوانًا من العلاقات السوية بين المسلم وأخيه تجعل المجتمع الاسلامي في النهاية كيانًا عضويًا واحدًا قادرًا على أداء وظيفته في هذه الحياة مع إحساس كل فرد من الأفراد بالراحة والطمأنينة والسعادة.

إنه تواد وتعاطف وتراحم ينتج الرابطة الوثيقة والوحدة القوية التى تجعله مثلا أعلى للمجتمع السليم إنها روابط إنسانية يحيطها الإسلام برعايته وعنايته وتوجيهاته .

روابط تمثل شبكة سليمة ترابطت خيوطها وتداخلت في نسيج واحد إذا اهتز خيط منها اهتزت له سائر الخيوط وهي بهذا تكون إطارًا من العواطف والقيم والأخلاق التى تجعل من المجتمع وحدة متماسكة؛ كل فرد فيه يمثل لبنة في بناء المجتمع. ذلك لأن «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».. الشيخان .. والرسول يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر» .. الشيخان .

ومن أهم عناصر العلاقات الإنسانية التى تحقق أهداف المجتمع الإسلامي في هذه الحياة:

أولاً: المحبة :

المحبة تعنى ميل المسلم إلى أخيه المسلم ورغبته في صحبته وحرصه على كل ما ينفعه في الدنيا ويسعده في الآخرة ومن مظاهر حب المسلم لأخيه المسلم: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأن يكره لأخيه ما يكره لنفسه .

والمسلم الذي يجد حلاوة الإيمان في إيمانه هو المسلم الذي يحب أخاه في الله ويوضح ذلك في الحديث الشريف الذي رواه الشيخان : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل ما سواهما، وإن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

وهذا الحب لايقوم على العاطفة وحدها - بل يقوم على العاطفة وعلى العقل معا، ومعنى ذلك أن المسلم لابد وأن يكون عادلاً إذا ما حدثت مشكلة بين مسلم ومسلم أو بين مسلم وغير مسلم .

وقالها رب العزة سبحانه وتعالى واضحة صريحة:

﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (المائدة: ٨) . وقال أيضا: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الأنعام :١٥٢)

وبهذا تتميز الأخوة في الإسلام والمحبة الروحية عن الأخوة في الحضارة الغربية والمحبة المادية، فعلاقات المجتمع الإسلامي تقوم على العدل والمعاملة بالمثل مع الناس جميعا. وبهذا تميز المسلمون على غيرهم في القديم وفي الحديث حيث أنهم يتمسكون بالإسلام في كل المجالات.

وبهذا يتضح لنا أن المسلمين مطالبون بقيادة الدعوة إلى الله والتبشير بهذه المفاهيم في العالم كله لأنه يقر بوحدة الأصل الإنساني وبما يترتب على ذلك من شعور بالإخاء العام بين الناس. ويترتب على تلك الدعوة أن تتعارف الشعوب وتسلك السبل التى تحقق هذه الوحدة وتتجنب المسالك التى حالت وتحول دون تحقيق هذا الهدف.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات: ١٣) . وبهذا يتضح لنا أن الإسلام يصنع من المسلم إنسانًا لايرى نفسه وحده في الدنيا، وإنما يرى إخوته المؤمنين جميعًا يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه بل إنه يرى الناس جميعًا أخوته في الإنسانية يحب لهم الخير في كل صوره ولا يضمر شرًا لأحد ولا يحمل لأحد ضغينة .

والمسلمون الذين يصلون إلى هذا المستوى من الحب. بشرهم رب العزة بمكانة عالية يوم القيامة في الحديث القدسي عن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إن من عباد الله أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله**. قالوا: يارسول الله فخبرنا من هم قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى

نور ولايخافون إذا خاف الناس ولايحزنون إذا حزن الناس ـ ثم قرأ : ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أبو داود.

ثانيًا : التعاون

الإنسان المسلم الذي يحب أخاه حبًا إسلاميًا كاملاً لابد وأن يتعاون معه في الإطار الإسلامي الذي حدده القرآن الكريم في قوله تعالى : **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** (المائدة:٢) .

فهو تعاون يؤدى إلى الخير؛ أسلوبه سليم وغايته سامية .

ويحدد الحديث الشريف ألوانًا من التعاون التى تجعل كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي يحس بالأمن والأمان والراحة النفسية والاطمئنان القلبي لأن ما فيه من ثغرات قد سدت بوساطة المسلمين وما فيه من المشكلات قد حلت بوساطة الأخوة.

والمسلم الذي يتعاون بهذا الأسلوب هو المسلم الذي يجد المعونة من رب العزة في الدنيا وفي الآخرة يقول رسول الله ﷺ : «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا. نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم والترمذي.

ومن أساليب التعاون بين المسلم وأخيه المسلم نقل الخبرة في صنعة أو حرفة إلى من هو في حاجة إليها. وأن يعين أخاه على فهم ما عسر عليه وييسره الله تعالى إليه ، ونصرة المظلوم ، وإنصاف الضعيف، ورد الظالم عن ظلمه، وإرشاد الرجل أخاه في أرض الضلال، وبصر الرجل الرديء البصر لأخيه، وإفراغ المسلم في دلو أخيه وهكذا.

فالتعاون يشمل كل شئ في الحياة يفيد المسلمين أفرادًا وجماعات، وبالتعاون يمكن القضاء على المعوقات التى تعترض الأفراد بإمكاناتهم المحدودة كما تعترض الجماعات التى لايمكنها أن تسير في الطريق السليم نظرًا لحاجتها إلى معونات المجتمعات الأخرى الإسلامية في صورها المتنوعة والتعاون بذلك يتيح للجهود الفردية تضافرها ويمنحها من الفاعلية والمقدرة ما يضاعف مجهودها .

كما يتيح للجهود الجماعية قوتها ووصولها إلى أهدافها التى تمكنها من أداء وظيفتها

في هذه الحياة وقد يصل التعاون إلى مرحلة الإيثار الذي يجعل المسلم يفضل أخاه على نفسه، وهذه منزلة سامية يصل إليها من تفوق على نفسه، ذلك لأن الإيثار شموع تضيء لغيرها ولا تحترق. فالمؤثرون على أنفسهم شموع تضيء لغيرها ولاتحترق إنهم دائمًا مشغولون بالآخرين.

والذين يؤثرون غيرهم على أنفسهم لايحقدون ولايحسدون غيرهم على ما آتاهم الله من فضله، بل إنهم يفرحون لما يجدون من فضل من ا لله تعالى على غيرهم، وقد مدح الله سبحانه وتعالى هذا الصنف من الناس وقال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩) . كما مدح الأبرار الذين قال إن من صفاتهم أنهم :

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان:٩) .

ثالثًا : التسامح:

التسامح يعني: ميل المسلم إلى العفو عن المسيء والصفح عن المخطئ والتجاوز عن سيئات الناس.

فالإنسان خلق ضعيفًا والمسلم الذي يستطيع أن يتغلب على ضعفه فإنه يصبح قويًا ذلك لأنه لايرد بالمثل ولكنه يعفو ويغفر ويلتمس العذر لمن أساء إليه، بل إنه قد يصل إلى مرحلة أعلى من ذلك وهي أن يحسن إلى من أساء إليه مدفوعًا بالرحمة التى توارت في نفسه إشفاقًا وحنوًا على غيره الذي أُصيب بالضعف عاملاً بقول النبي ﷺ في الحديث الذي روى عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: « ألا أنبئكم بما يرفع الله به الدرجات قالوا: نعم يارسول الله قال: تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك» الطبراني.

وبذلك يصل إلى الصفح الجميل الذي يجعل الإنسان يحس بالراحة والسعادة حين يصفح عن غيره ملتمسًا الرضا من الله سبحانه وتعالى العليم بضعف الناس وما يعانون في هذه الحياة من ضغوط متنوعة .

وقد وضح القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(٣٤)وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت : ٣٣، ٣٤) .

وكان الرسول ﷺ هو القدوة لنا في ذلك ومن ذلك الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس الذي قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت فيه حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال:

(مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء) متفق عليه.

والتسامح يتم حتى مع غير المسلمين فالاختلاف مستمر في الحياة ما دام في الدنيا بشر لهم عقول وأفئدة تختلف في اتجاهاتها وطرق تفكيرها ويؤثر فيها من العوامل ما لايحيط بعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ولذلك قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل :١٢٥) .

فالتعايش السلمي مطلوب وهو موقف لا عدوان فيه ولا إكراه في الدين معه والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦) .

وحين يحقق المسلمون هذه العناصر في المجتمعات الإسلامية فإن الروح الجماعية تنمو والتعاطف السليم يسمو والصلة الفكرية والنفسية والروحية والشعورية والاجتماعية تقوى وبذلك يتعود المسلمون الالتقاء على الخير والبر والتقوى ويبتعدون عن الإثم والعدوان ويسير المجتمع الإسلامي في طريق النظافة المادية والمعنوية ويحس المسلمون بالهدوء والراحة، وبذلك يعملون على تحقيق وظيفتهم في هذه الحياة فيدخل

العالم كله في سلام مع النفس ومع غيرهم ومع الكون الذي يعيشون فيه.

فلا يكون هناك قلق ولا حيرة ولا صراع في الحياة المادية حيث تداس فيه القيم والحرمات بلا تحرج ولاحياء . وصدق الله تعالى القائل :

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

البناء الاجتماعي:

تعبير يقصد به الصورة التي يبني بها الفرد والمجتمع بحيث تحفظ كيانه وتحقق أهدافه. وفي الإسلام يقوم البناء الاجتماعي على أساس عبادة الله وحده لاشريك له والسير على منهاجه واتباع تعاليمه وهذا البناء يتقصى أبعد الجوانب في قلب المسلم وينظم انفعالاته ويجعله يسير في الطريق الذي رسمه الله تعالى له، كما تعلمه عناصر النجاح وكيف هلكت الأمم التي تحيرت ورفضت أن تؤمن بالله تعالى وتعمر الأرض بالأسلوب الذي يتيح للمسلم الانسجام التام مع الكون ما فيه ومن فيه، كما يتجه به نحو مستقبل الإنسانية ليبعد عنه نواحي القصور ويعمل على تحويله إلى مجتمع متكامل تتحقق فيه معاني الإنسانية .

وبذلك يسير المسلم في طريق البناء الحضاري دفعًا للثقافة الإسلامية التي تطبع أسلوب الحياة في المجتمع الإسلامي بسلوك معين وفي الوقت نفسه تطبع سلوك الفرد بطابع لا يختلف مع أسلوب هذا المجتمع .

إعداد المجتمع:

الإسلام يعد المجتمع لتسلم قيادة البشرية والسير على منهج الخالق، ولذلك فهو يعده إعداد كاملاً على أساس واقعه بكل ما فيه من قوة وضعف حتى تكون قيادته رشيده فيها التمسك بالحق والبعد عن الباطل وفيها التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

لذلك فإن الإسلام يربي في المسلمين (الانضباط الذاتي) الذي يجعل السلوك نابعًا من الضمير الذى يرعى الله تعالى في كل لحة وفي كل خطوة، والنية أساس في كل ذلك لأنها تحدد هدف السلوك للفرد والمجتمع، وعلى أساس النية يحاسب الإنسان أمام الله سبحانه وتعالى، يقول رسول الله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» البخاري.

الأسرة :

والأسرة هي البيئة الطبيعية لنشوء الأطفال وبناء شخصياتهم الاجتماعية والثقافية وتعتبر الميلاد الثاني الذي ينشأ عن تدريب الطفل وتعويده بعض أساليب السلوك في بداية حياته ثم تتحول تدريجيًا إلى حيلة تهضم المعايير الاجتماعية العامة بحيث يتحول هو نفسه مع اكتمال النمو إلى رقيب على نفسه قادر على حراسة تلك المعايير والدفاع عنها .

وقد أثبتت التجارب التى قام بها الجنس البشري أن الأسرة أفضل نظام لتربية الأطفال بإعطائهم حاجاتهم الجسيمة والنفسية والعقلية والروحية .

ولذلك فإن هدف تكوين الأسرة في الإسلام الحفاظ على النوع الإنساني لمعرفة الله تعالى وكمال العبودية له واتباع شرائعه وعمارة الأرض باستخراج كنوزها واستثمار خيراتها لفائدة البشر حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن هنا فقد طلب من المسلم اختيار الزوجة الصالحة التى تستطيع أن تؤدى دورها في تربية الأطفال كما طلب من المسلمة اختيار الزوج الصالح الذي يتمتع بالخلق القويم والدين المتين كما طلب من الوالدين العناية بالجنين في فترة الحمل وبعد خروجه إلى الحياة حتى يكتمل نموه الجسمي والعقلي والنفسي والروحي ويستطيع أن يقوم بدوره في الحياة .

وقد أثبت علماء النفس أنه عندما يخفق عضو أو أكثر من أفراد الأسرة بالدور المنوط به على نحو سليم فإن التفكك الأسرى يحدث وينتج عنه أن الطفل قد يولد به مرض عقلي وقد يصاب بمرض عصبي لفقدان الإحساس بالأمن والحب وعدم وجود

مثل أعلى يمثل نموذجًا يستطيع أن يترسمه الطفل في حياته .

عناصر البناء الاجتماعي في الإسلام:

والبناء الاجتماعي في الإسلام يقوم على عدة عناصر منها:

١ـ الأخوة: فالمؤمنون جميعًا إخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠) وهذا يجعل كل فرد من أفراد المجتمع يحس بأنه لبنة لها كيانها فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا والمسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه والمسلمون جميعًا في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

٢ـ التناصح : والتناصح عنصر أساسي في البناء الاجتماعي للأمة الإسلامية على أن تكون النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

والإسلام يعطي صورة لكرامة المجتمع وتكيفه وتأثير بعضه على بعض في الحديث الشريف الذي رواه البخاري «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا هذا خرقًا و لم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» .

٣ـ العلم: والعلم من عناصر البناء الاجتماعي وقد فتح الاسلام أمام العقول كتاب الكون على مصراعية ودعاها إلى التدبر في ملكوت السموات والأرض وقد طلب ا لله تعالى من نبيه أن يطلب زيادة العلم ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤) . وا لله سبحانه وتعالى وهب الإنسان المعرفة منذ أراد إسناد الخلافة إليه ووعده أن يريه آياته في الأفاق وفي نفسه ووعده الحق فكشف له يومًا بعد يوم وجيلاً بعد جيل في خط صاعد أبدًا عن بعض القوى والطاقات التى تلزم له في خلافة الأرض .

وقد رفع الله تعالى من قيمة العلم لأن العلماء هم الذين يهدون البشرية في طريقها إلى الله وهم حماة الأخلاق والمثل العليا : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١) .

٤ـ العمل: والمسلم مطالب بالعمل المستمر في عمارة الأرض بالأسلوب الذي رسمه الإسلام وهو مأجور على كل عمل يعمله يبتغي به رضوان الله سبحانه وتعالى وقد أوصى النبي ﷺ بالعمل حتى ولو رأى المسلم أن الساعة قائمة . «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع إلا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر» وقد لاحظ أندريه موروو في كتابه «فن الحياة» أهمية العمل في حياة الإنسان فقال: إن العمل نشاط ينقذ الرجل من نفسه والكسل يجعله فريسة للأسف الذي لا ينفع، إن العمل وقانا من الملل والرذيلة والفقر فالشعب المشغول بعمل يؤمن بقيمته ويؤديه بمحض رغبته هو شعب سعيد حقًا» . وهو يهدف بذلك إلى أن العمل في حد ذاته قيمة ونعمة كبرى يسعد بها الفرد .

ولكن على أن يكون بعيدًا عن صراعات الحياة قريبًا من التعاون فيحس كل فرد بالاطمئنان النفسي الذي يريحه ويجعله راضيًا عن مجتمعه والله سبحانه وتعالى يقول:﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون ...﴾ .

٥ـ التميز : من خصائص البناء الاجتماعي في الإسلام التميز وهو تميز في الشكل وتميز في المضمون .

التميز في الشكل: حرم الإسلام على الرجال الأشياء التى تتحلى بها النساء كالذهب والحرير وفي ذلك صون لرجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال وقد حرم أيضًا تشبه النساء بالرجال حتى تؤدى المرأة دورها في الحياة وقد روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ «لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء» البخاري.

وحارب الترف الذي هو مظهر للظلم الاجتماعي وفيه يقول الله تعالى ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء:١٦)، والمسلم يأكل بيمينه ويجلس جلسه طبيعية ومطالب أن يوفر لحيته ويقص شاربه وأن يكون نظيف الجسم والثوب والبيت والشارع وأن يأخذ زينته عند كل مسجد وألا يدخل التماثيل في بيته بقصد الإعجاب والتقدير يقول النبي ﷺ «إن

الملائكة لاتدخل بيتًا فيه تماثيل» وأعياد المسلمين مرتبطة بالعبادة فعيد الفطر مرتبط بالصوم وعيد الأضحى مرتبط بالحج .

التميز في المضمون : المسلم يحس بكرامته على الله وبمكانته في الملأ الأعلى وبمركزه القيادي في هذا الكون وهذا كله يجعله يشعر بذاته لانتسابه إلى الله تعالى وارتباطه بكل ما في الوجود فيحيا عزيز النفس أبيًا بعيدًا عن الشعور بالتفاهة والضياع.

فالعقيدة الإسلامية تجعل من المسلم إنسانًا كاملاً وتعطى الحياة معنى والإنسان بلا عقيدة آلة تتحرك وهيكل فارغ وجسم بلا روح .

والنظرة المادية : أنتجت شعور الإنسان بالتفاهة والضياع وأصبحت نظرته إلى نفسه نظرة حيوانية بحته وإلى جانب ذلك فإن الإنسان يشعر بالكبر والغرور الذي يصل إلى حد تأليه نفسه ويتصرف وكأنه إله لا يسأل عما يفعل يقول جوليان هكسلي في كتابه الإنسان في العلم الحديث : «إن الإنسان في العلم الحديث أصبح هو الله المنشئ المريد» .

ولكي يستطيع المسلم أداء دوره في الحياة فقد طلب الإسلام منه البعد عن الرفاهية لأنها تقلل من كفاءته في كل مجال وتجعله غير قادر على تحمل مشاق عمارة الكون وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب إلى أحد عماله ببلاد العجم «إياكم والتنعم وزي العجم وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب واخشوشنوا وأعطوا الركب أسنتها وارموا الأغراض» .

ومما يتميز به المجتمع الإسلامي أنه يضم مجموعة من العلاقات الثقافية التى تحيا فيها الأفكار كما يوجد فيه العرف الإنساني الذي تفتقده المجتمعات الأخرى وفيه يجد كل فرد مسلم حاجاته النفسية فيشعر بالألفة والمودة والاطمئنان ويحس بمشكلات كل فرد في المجتمع فيتعاون على حل هذه المشكلات في جو هادئ بعيد عن الانفعالات الضارة وفي أسلوب علمي يكفل حل كل مشكلة على أساس سليم يقول الدكتور كانتول سميث أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة مونتريال في كتابه : الإسلام في التاريخ

الحديث (المسلم ينظر إلى المستقبل ليقيمه على أساس من الماضي المجيد ويسعى إلى الغد ولايفوته أبدًا أن يلتفت إلى الأمس البعيد وإنه لم يكن من الجامدين الكارهين للتقدم ومسايرة الزمن على النحو الموجود في الحضارة الحديثة ويقول الدكتور ولفريد كانتويل (ما من دين استطاع أن يوحي إلى المتدين به شعورًا بالعزة كالشعور الذي يخامر المسلم في غير تكلف ولا اصطناع) .

ويوضح هذا المعنى الأستاذ مونتجمرى وات عميد قسم الدراسات العربية بجامعة ادنبرة في كتابه (الإسلام والجماعة المتحدة) بإظهار زاوية أخرى من أثر البناء الاجتماعي في الإسلام في قوله (إن عقيدة الإسلام أمدت أبناءه في كل عصر بالقوة المحركة التى ينظرون إليها ويترسمون خطاها وهي المثال الذي يحفز السائر إلى الحركة والتقدم ويهون عليه مشقة الطريق) .

وهكذا يكون المنهج الرباني هو أساس البناء الاجتماعي للأمة الاسلامية وهو منهج فطري سليم ييسر للقلوب السليمة والنفوس المستقيمة الأمن وهو بمثابة العروة الوثقى التى تربط بين المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وزيهم وأشكالهم فهو نور يضيء قلب المسلم فيعرف طريقه ويتبين له ما هو مقبول وما هو مرفوض في نظر الشريعة الإسلامية وما هو حلال وماهو حرام فيسير على المنهج المرسوم له ويمكن به قلب المؤمن فلا يطيع هواه ولا تغلبه الشهوات ويقنع عقل المسلم فلا يستجيب للمناهج غير الإسلامية .

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى المسلمين بأن يتبعوا هذا المنهج الذي يوصلهم إلى غايتهم في الدنيا والأخرة وألا يتبعوا غيره حتى لايبتعدوا عن الطريق السليم فيضلوا **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** (الأنعام :١٥٣) .

ولذلك فإننا في حاجة إلى البناء الاجتماعي السليم للأمة المسلمة حتى نعيش أمنين مطمئنين ونؤدى دورنا في الأرض كما أداه أجدادانا فيرضى الله عنا في الدنيا وفي الأخرة وهذه أمنية كل مسلم ولمثل هذا فليعمل العاملون .

الحركة السلوكية في الحضارة الإسلامية:

الإسلام يتميز بأنه الدين الذي إذا آمن به الناس أحدث هزة في قلوبهم تغير المفاهيم والاتجاهات والسلوك بحيث يكون ذلك كله مطابقًا للأسس التى جاء بها الإسلام ، لأن الإيمان الصحيح متى استقر في قلب المؤمن ظهرت آثارة في الاتجاهات وفي السلوك.

والعقيدة الإسلامية: تتحرك دائمًا لتحقيق مدلولها في المجتمع وتحوله إلى عمل نافع طبقًا لمنهج الإسلام. يقول الدكتور«مونتجمري وات» عميد الدراسات العربية بجامعة ادنبرة في كتابه « الإسلام والجماعة المتحدة» : « إن عقيدة الإسلام أمدت ابناءه في كل عصر بالقوة المحركة التى ينظرون إليها ويترسمون خطاها وتسمى الطيف أو المثال الذي يحفز السائر إلى الحركة والتقدم وتهون عليه مشاق الطريق» .

ومنهج الإسلام في التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطني بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية، وتحويل هذه الحركة إلى إعادة للبناء السليم طبقًا لمنهج الإسلام مع استمرار الدافع الشعوري الأول في كل حركة، حتى تبقي حية متصلة بينبوعها الأصلي وهو الإيمان **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** (سورة آل عمران: ١١٠)

رسالة المسلم : والمسلم صاحب رسالة في هذه الحياة وإحساسه بأن له وظيفة سامية تجعله يرتفع بشعوره وضميره ونشاطه وعمله، بحيث يستخدم ذلك كله في الوصول إلى تحقيق هذه الأهداف بالوسائل المشروعة، وهو لذلك يحس بالطمأنينة الكاملة لأنه يمشي مع قدر الله تعالى في طاعته، والمجتمع الإسلامي كله تشيع فيه المحبة والسلام والترابط والأخوة .

ورسالة المسلم يحتاج تحقيقها إلى جهد ضخم، ولذلك فإن القرآن الكريم قد طلب من المؤمنين أن يستعينوا على ذلك بالصبر؛ الصبر على الطاعات، والصبر على المعاصي، والصبر على جهاد أعداء الله تعالى، والصبر على المشقات بكل صورها والصبر على الطريق الشائك . وقد وضح للمسلمين أن الزاد المستمر والمدد الذي

لاينقطع يكون في الصلاة ولذلك فقد طلب من المسلمين الاستعانة بها يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٥٣) .

فالصلاة: هي التى تجعل الإنسان الضعيف يتصل بالقوة الكبرى التى يستمد منها العون والسير في الطريق السليم . والإسلام يهون من شأن الدنيا التى قد يصاب المؤمنون ببعض الابتلاء فيها، فما هي إلا لهو ولعب حين لا يكون وراءها غاية أبقى وأكرم، والله سبحانه وتعالى سيوفيهم أجورهم يوم القيامة .

والمنهج الإسلامي يجعل الدنيا مزرعة للآخرة، ويجعل إحسان الخلافة فيها، هو الذي يستحق وراثة الدار الباقية : ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد :٣٦) .

والحياة الدنيا فيها الحق وفيها الباطل - فيها الخير وفيها الشر، والله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يترك الإيمان والخير بدون مكافحة للشر والطغيان اعتمادًا على قوة الإيمان في النفوس أو تغلغل الحق في الفطر البشرية، ذلك لأن القوة المادية التى يملكها الباطل قد تفتن بعض النفوس فللطاقة البشرية حدود، ومن ثم فإن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يترك المؤمنين للفتن إلا ريثما يستعدون للمقاومة، وعندئذ أذن لهم في القتال لرد العدوان - وقد أخبرهم بأنهم في رعايته وحمايته، وأنه يكره أعداءهم لكفرهم وخيانتهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (سورة الحج :٣٨) .

وقد حكم الله سبحانه وتعالى للمسلمين بأحقية دفاعهم عن أنفسهم وعن دينهم، فهم مظلومون، وعليهم أن يقاتلوا وان يطمئنوا إلى نصر الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (سورة الحج:٣٩) .

وقالها القرآن الكريم واضحة صريحة :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (سورة الحج: ٣٨) .

مميزات الحركة السلوكية:

والحركة السلوكية في الإسلام تقوم على أساس الايمان الصحيح الذي يستقر في قلب المؤمن فتظهر آثاره في السلوك ويحس كل فرد في المجتمع الإسلامي أنه راع ومسؤول عن رعيته، وأنه عضو فعال في المجتمع يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وينصح ، ويساعد ، ويعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ويبتعد عن الانفعالات المضرة بالجسم والعقل والنفس والتى تثير العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع. ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (سورة آل عمران:١٣٤) .

وإلى جانب ذلك فإن الانفعالات الطيبة هي التى ينصف بها أفراد المجتمع، وهي التى توصل إلى التآلف والتواد وإسعاد الفرد والمجتمع كالعفو عن المسيئ ومعاملة الناس بالحسنى، يقول الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ (سورة فصلت: ٣٤) .

والحركة السلوكية في الإسلام تحتاج إلى العمل والجهد والإبداع والتلقى الدائم من الله سبحانه وتعالى وتوجيه الإنسان والإبداع في مسالكه المستقيمة. وبلغ من تأكيد القرآن الكريم على أهمية العمل في الحياة أن كلمة العمل بتصريفاتها المختلفة قد وردت فيما يزيد على (٣٥٠) موضعًا، وهي تشير إلى المحور الأساسي لوجود الإنسان على الأرض. ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ (سورة هود: ٦١) .

ومن مميزات الحركة السلوكية في الإسلام :

التوازن : بحيث يكون الإنسان وسطًا في كل أعماله واتجاهاته.

والتمييز بحيث لا يكون هناك تشبه بغير المسلمين في الشكل أو في الاتجاهات أو في السلوك، لأن المشابهة في الظاهر تورث محبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهي سبب المشابهة في الأخلاق، وقد تصل إلى المشابهة في الاعتقاد .

وفي الإسلام لايقع طغيان إلا في حالات الانحراف لأن الله سبحانه وتعالى هو

صاحب السلطة التشريعية التى يرجع إليها في جميع الأمور. وطاعة ولى الأمر مرتبطة بطاعة الله ورسوله. ثم إن الرجل والمرأة لا يلتقيان إلا في حدود الأسرة ويلتقيان على أهداف اجتماعية جادة نظيفة مستقيمة .

والأخلاق إنسانية والمسلمون يتعاملون مع الناس جميعًا على امتداد الزمان والمكان على أساس الأخلاق الإسلامية الإنسانية؛ لذلك، فإنها تظل ثابتة مهما اختلفت الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولذلك يقول الدكتور «هو كنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد» الأمريكية في كتابه : «روح السياسة العلمية» : « «إننى أشعر بأنى على حق حين أقرر بأن الإسلام فيه كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة».

والحركة السلوكية في الإسلام: تطبع المسلم بطابع خاص يميزه عن أي لون من ألوان السلوك غير الإسلامي؛ ولذلك فإن المسلمين يتعارفون في أي مكان وإن اختلفت اللغة واللون والوطن ، وقد لحظ ذلك العالم الإسلامي الهندى الشيخ أبو الحسن الندوى فذكر في كتابه الرائع: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» أمثلة للحركة السلوكية الإسلامية في صدر الإسلام منها : « وخز الضمير بحيث يأتى المسلم المذنب إلى رسول الله ﷺ ليقيم عليه الحد، ومنها الأنفة ، وعزة النفس، والثبات أمام المطامع والشهوات ومنها الاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء، ومنها الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة في سبيل الإسلام.

ومن النماذج المعاصرة المبهجة للحركة السلوكية: ما نراه من سلوك بعض الممثلات اللاتي كن يملأن الاذاعة والتفاز والخيالة وأشرطة الفيديو وغيرها بالتمثيل والغناء والرقص ، وكن يأخذن من الأموال الكثير والكثير جدًا وحين تبن إلى الله سبحانه وتعالى تحجبن وتركن كل ذلك، وتغيرت حركتهن السلوكية تغيرًا تامًا وأحسن بالرضا والطمأنية والأمن النفسي الكامل.

نعم لقد فقدن الدعايات الكثيرة والأموال الطائلة واللقاءات المتوالية، ولكنهن وجدن أنفسهن «بعد التوبة» وشعرن بالراحة النفسية الكاملة:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

(سورة الرعد: ٢٨)

والحركة السلوكية في الإسلام: تجعل المسلم يحس بأن الكون كله وطن للإنسان، وصلة التوطن بينهما تقوم على أساس الفطرة فليست الأرض وحدها وطنًا للإنسان بل إن الأفاق التى تحيط بها تضع الإطار الحق لمفهوم وطن المسلم.. وإذا كنا نعيش على الأرض بأبداننا فإننا نحيا في هذا الكون الكبير بعقولنا؛ نحيا حياة حافلة بأصدق المعاني ذلك لأن خالق الإنسان، وخالق الكون هو الله، والإنسان لذلك يحس بأن الكون صديق له متعاطف معه ، والكون مسبح بحمد الله الذي خلقه .

والمسلم يحس بأن الكون كله بيته الكبير الذي يعيش فيه، وهذا ما يجعل للحياة طعمًا غير ما يحس به من لا يؤمن بذلك، وهذا مغاير لنظرة الغربيين وسلوكهم لأن الكون عندهم هو مجال صراع وعداوة للناس، وقد ترتب على هذا تدمير كثير من مظاهر الحياة وأصحابها، وأصبح هذا السلوك جزءًا من تكوين الغربيين، فهم يدمرون في كل زمان ومكان .

والصراع في الغرب لا تراعى فيه القيم ولا الأخلاق ولا الحرمات . والقوة الكامنة في الحركة السلوكية في الإسلام هي التى تخيف الغرب وتجعله يضع الخطط المختلفة لإبعاده عن حياة المسلمين: يقول المستشرق غانور غارونر: «إن القوة التى تكمن في الإسلام هي التى تخيف أوروبا مع أن هذه القوة هي التى يمكن أن تنقذهم من الضياع الذي يعيشون فيه ولكن الغرور والقوة المادية تجعلهم لايفكرون إلا في القضاء على الصحوة الإسلامية» .

ولذلك فإن على المسلمين أن يسيروا على منهج الإسلام فينقذوا أنفسهم وينقذوا هذا العالم الحائر، فالقرآن الكريم يهدى للتى هي أقوم، ومنزل القرآن هو خالق البشر، وهو أعلم بما يصلحهم وما يصلح لهم، وسوف يحاسب الله سبحانه وتعالى كل إنسان على عمله .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨) . ولا يمكن للإنسان أن يعود إلى الحياة الدنيا ليستدرك ما فاته وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

ظاهرة الضبط في الحضارة الإسلامية :

الضبط: تعبير يقصد به قواعد السلوك التى توجد أفراد المجتمع وتحدد علاقتهم وبذلك يمكن للمجتمع أن يحقق أهدافه .

وقواعد السلوك: تشمل القيم والمعايير التى من خلالها أو بوساطتها يتحقق التماسك بين أفراد الجماعة وتسهل اجراءات التواصل بينهم حتى يسيروا في طريق واحد .

وينشأ الضبط في الحضارة الإسلامية من قيم الإسلام ومعاييره التى وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ذلك لأن الإسلام منهج حياة كامل ملحوظ فيه نواميس الفطرة التى تعرف النفس البشرية في كل أطوارها والجماعات الإنسانية في كل ظروفها ـ فهي تعالج النفس المفردة والنفس المتشابكة بالقوانين الملائمة للفطرة المتعلقة في وشائجها.

أما النظم البشرية فهي متأثرة بقصور الإنسان للإنسان وملابسات حياته وهي لذلك تقصر عن الاحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد ، إنها قد تعالج ظاهرة فردية أو ظاهرة اجتماعية بدواء قد يؤدى بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد .

الضبط في الحضارة الإسلامية: المسلم له وظيفته في هذه الحياة فهو مكلف بعمارة الأرض طبقًا لمنهج الله وإنقاذ البشرية من عبادة غير الله ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة ومن هنا فإن الضبط ينشأ من المفاهيم الإسلامية سواء أكان ضبطًا ذاتيًا بتعاليم القرآن والسنة فولاؤه كله لله .

والمسلم بذلك يرى نفسه مدفوعًا إلى السير في الطريق الذي رسمه الإسلام فهو يراقب الله في السر والعلن لأن الله يراه ـ وبهذا يتحول الشعور الباطني بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية وتتحول هذه الحركة إلى عادات ثابتة ـ مع استيحاء الدافع الشعوري الأول في كل حركة لتبقى حية متصلة بينبوعها الأصيل ومن هنا نلحظ آثار الضبط الذاتي في سلوك المسلمين الذين تربوا التربية الإسلامية الكاملة مما لايحدث مثله في أية حضارة أخرى .

فما عز بن مالك الأسلمي يأتي إلى النبي ﷺ ليقول له: إنى ظلمت نفسي وزنيت فطهرني بالحد، والغامدية تأتي إلى رسول الله ﷺ فتقول له يارسول الله إنى زنيت فطهرني بالحد والمسلمون بعد أن فتحوا المدائن أقبل رجل بحق ليس له مثيل ودفعه إلى صاحب الأقباض ورفض أن يذكر اسمه وقال: لا أخبركم لتحمدوني ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه .

وعبد الله بن رواحه أرسله رسول الله ﷺ يقدر على أهل خيبر محصولهم من الثمار والزروع لمقاسمتهم إياها مناصفة حسب عهد رسول الله بعد فتح خيبر فحاول اليهود رشوته ليرفق بهم فقال لهم والله لقد جئتكم من أحب الخلق إلى ، ولأنتم والله أبغض إلى من أعدائكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضى لكم على ألا أعدل بينكم .

فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض . ومما يعزز الضبط الذاتي أن يرى الإنسان أن الدنيا فانية وأنه سيحاسب على ما قدمت يداه وذلك واضح في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨) .

وأن يحس بأن حاجاته الضرورية تكون فيما اشتمل عليه الحديث الشريف «من بات آمنا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» الترمذي. وإذا ما أحس الإنسان بشيء يفتقده الضبط الذاتي لخوفه من شيء ما، فعليه أن يلجأ إلى الله قائلا: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت .

ويعجب المبشر الغربي ارستيال مؤريد الذي عاش في صحراء العرب أكثر من أربعين عامًا من الضبط الذاتي الذي رأه في رحله استغرقت عشرة أيام مع بعض العرب في شهر رمضان مرن بهم فيها مرحلة استغرقت ثلاثة أيام ـ لم يجدوا فيها قطرة ماء واحدة ـ إلى أن وصلوا إلى بئر قبيل موعد غروب الشمس بساعتين ـ وكان يتوقع أن ينكب كل واحد منهم على البئر ولو لمجرد أن يمضمض فمه الجاف في حرارة القيظ بعد جفاف ثلاثة أيام ـ ولكنهم امتنعوا جميعًا ودعوه هو أن يشرب ويتركهم إلى أن يحين موعد الغروب والإفطار .

الضبط الاجتماعي : المسلمون يحسون بأن لهم وظيفة ضخمة في هذه الحياة فقد انتدبهم الله تعالى لعمارة الأرض وطلب منهم أن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا ومن هنا فإن أفراد المجتمع الإسلامي يحسون بأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وبأن المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه وهو في حاجة أخيه حتى يكون الله في حاجته - وكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي يحس بأن التناصح عنصر أساسي من عناصر الضبط الاجتماعي على أن يكون لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن أفراد المجتمع الإسلامي كركاب سفينة واحدة تمخر بهم عباب البحر فإن ترك كل فرد يفعل ما يشاء فقد يكون في ذلك غرق السفينة بما فيها ومن فيها .

وإذا حدثت مشكلة بين مجموعة من الناس فلابد من الإصلاح ولو كانت المشكلة بين طائفتين فإن على المجتمع أن ينهى المشكلة ولو ترتب عليها قتال الطائفة الباغية فالمؤمنون أخوة ولابد من منع كل شيء يذهب بهذه الأخوة وبذلك لا يتفرغون لدعوتهم بل يعيشون في هم وغم وفزع .

والشورى من عناصر الضبط الاجتماعي لأنها توصل إلى الرأى السليم وتجعل كل أفراد المجتمع إيجابيين يحسون بالمسؤولية وتبعد المجتمع عن الحكم الفردي والقدوة المثلى في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان يستشعر أصحابه وكان أصحاب رسول الله أكثر الناس مشورة .

والعدل الذي اشتهر به المسلمون على امتداد الزمان والمكان بين جميع الناس مسلمين وغير مسلمين والذي أعجب به الكثيرون من الغربيين ومنهم توماس أورنالد فذكر أمثلة منه في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» لأن المسلمين يتمسكون بقوله تعالى ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة :٨) .

والمساواة بين الناس عنصر أساسي كذلك - فالله سبحانه وتعالى خلق الناس جميعًا من أب واحد ومن أم واحدة وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا لا ليبغى بعضهم على

بعض ولا ليطغى بعضهم على بعض وليس هناك فرق بسبب اللون أو الوطن أو العرق وأفضل الناس عند الله أتقاهم ولذلك وجدنا عمر بن الخطاب يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يقصد بلالاً - والنبي ﷺ يقول: «اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام كتاب الله» البخاري.

والحدود: في الإسلام من عناصر الضبط الاجتماعي يضعفون فيسيؤون إلى أنفسهم وإلى مجتمعهم وإلى دينهم - ولذلك فإن المجتمع الذي يطبق حدود الله بالأسلوب الذي رسمه رسول الله ﷺ في مراعاة الظروف ومعرفة الأسباب والتطبيق على الجميع شرفاء أو ضعفاء المجتمع الذي يسير على هذا المنهج يكون الضبط الاجتماعي فيه رائعًا وبذلك يستطيع أن يحقق وظيفته في هذه الحياة .

وهكذا نجد ظاهرة الضبط في الحضارة الإسلامية التى تعد الفرد والمجتمع لأداء دوره في الحياة باعتباره خليفة الله في الأرض اختاره وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته ورسم له أسلوب الحياة وزوده بكل القوى الداخلية والخارجية التى تكفل له الحياة المطمئنة بحيث يؤدى دوره في الحياة ويعيش سعيدًا في مجتمع عاملاً للدنيا والآخرة، وما أصدق الدكتور هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الأمريكية حين يقول في كتابه: «روح السياسة العلمية» (أنى أشعر بأنى على حق حين أقرر بأن في الإسلام كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة) وعلينا أن نعيد تقويم أنفسنا أفرادًا وجماعات . وأن نعود إلى الإسلام نستمد منه عناصر الضبط الذاتي والضبط الاجتماعي حتى نعيد إلى الحضارة الإسلامية عزتها ورونقها - فبذلك ننقذ أنفسنا وننقذ هذا العالم الذي يسير إلى الهاوية ولمثل هذا فليعمل العاملون .

الشخصية السوية في الحضارة الإسلامية :

الإسلام : ينظر إلى الإنسان على أنه إنسان له مواطن قوة ومواطن ضعف وعامله على هذا الاساس بكل كيانه الجسم والروح والعقل.. وقد اهتم بالجسم باعتباره الوعاء الأوحد للعقل والروح .

وفي الجهاز العصبي تتجلى قدرة الخالق سبحانه وتعالى فهو يتكون من نحو عشرة

ملايين خلية تختلف في الشكل كما تختلف في الوظيفة وتجتمع كل طائفة من هذه الخلايا لتقوم بوظيفة خاصة تسمى : المركز.

والعقل ميزة للإنسان ونعمة كبرى إذا استخدم استخدامًا سليمًا في اكتشاف خبايا الكون والاختراع والابتكار أما إذا أصاب الإنسان الغرور فإن ذلك يؤدى إلى هلاكه.

وبنو إسرائيل قلبوا الحق باطلاً والباطل حقًا وأحسوا بالغرور سواء أكان ذلك بالنسبة للبشر أم بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى فقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى وقالوا: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه بل قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء .. فكان ذلك سببًا لهلاكهم فغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا .

والحضارة الغربية وصل فيها العقل إلى اختراعات هائلة ولكن أصحاب الحضارة الغربية استخدموا هذه الاختراعات استخدامات سيئة فيها الغرور والكبرياء فكان ذلك نكبة عليهم وعلى العالم كله .

والعقل إذا فكر الانسان به تفكيرًا سليما فإنه يتوصل إلى وجود قوة عليا هي التى خلقت العالم وهي التى شرعت للعلم وهي التى ستحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه ـ ثم يؤمن بعد ذلك بالشرائع الالهية ويسير في الأرض طبقا للمنهج الالهي فيعمرها ويكتسب رضوان الله تعالى .

وبالروح يحس المسلم بالرابطة القوية التى تربط الانسان بخالقه، يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء:٨٥) .

فالروح تسكن في جسد الإنسان كالتيار الكهربائي في البيت.

ولذلك فإنه لا يمكن الاستغناء عن الروح أو الجسد أو العقل وبذلك يؤدى الإنسان دوره الناجح في هذه الحياة الدور الذي يجعله يحس بالرضا والاطمئنان والراحة النفسية والسعادة في الدنيا وفي الآخرة .

والقرآن الكريم : يحدد صفات الشخصية السوية التى تتمتع بالصحة في الآتي:

أولا: الايمان بالله وحده لاشريك له :

وهو حجز الزاوية في تكوين الشخصية السوية ـ لأنه يبعث في نفس المسلم الثقة والطمأنينة والسير في الطريق السليم وعدم الحيرة أو اليأس .

وفي الوقت نفسه يجعل المسلم يتحرر من الهوى من الاغرض الشخصية والسعى لتحقيق المغانم الخاصة ذلك لأن القلب البشري يصبح متعلقًا بهدف أبعد من ذاته وهو الدعوة إلى دين الله والجهاد في سبيل الله بهدف تحقيق الخلافة في الأرض .

ولذلك فإن المسلم الذي يتمسك بالمنهج الالهي يمثل حركة متصلة بالوجود كله والصادر عن تدبير، والمتجه إلى غاية.

وهناك كثير من المعوقات التى تقف حجر عثرة امام ظهور الحق مثل: منطق المصلحة الخاصة والانانية وما يصاحبها من متطلبات مادية ويصبح التواصى بالصبر والتواصى بالحق بمثابة تذكير وتشجيع وتفاعل ودعوى إلى الآخرة والتآزر.

والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ضرورة وعلامة من علامات الصحة النفسية..

ولابد من توظيف الصبر على جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الآخرين المنحرفين وعلى الأذى والمشقة وعلى كل ما يقف أمام الإنسان فبذلك يستطيع أن يصل إلى الهدف المطلوب .

والمؤمن بالله تعالى وباليوم الآخر يدرك أنه خلق لأداء دور في الحياة وهو عمارتها باعتباره خليفة في الأرض ينشر فيها الأمن والراحة والطمأنينة والعدالة والمساواة ويبعد عنها كل طرق الشر كما يعلم أنه خلق للبقاء وأن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا مرحلة، ولذلك فهى ليست بالهدف الاسمى ولكن هناك موعد للقاء في حياة أخرى أفضل من هذه الدنيا وليس لها نهاية فهو ينعم بجنات فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون وفيها ينعم برضوان الله تعالى .

وبهذا يكون المسلم سائرا على منهج الله تعالى محققًا لوظيفته في هذه الحياة فهو يحب الله تعالى خالقه وهو يعمل على إرضائه منفذًا أوامره مجتنبًا نواهيه مؤمنًا بالقضاء والقدر .

وبذلك يكون في عصمة من الصراع والحسرة والجزع فيتقبل صعوبات الحياة

ومشقاتها بنفس راضية مطمئنة ولا تتغلب عليه مشاعر الضعف الانسانية .

وكيف يكون الأمر كذلك وهو مؤمن بقول الله تعالى :

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٣) .

نعم إن المسلم صاحب الشخصية السوية يعبد الله تعالى واهب الحياة التى يعيشها فهو الذي خلق فسوى وهو الذي قدر فهدي .

والعاطفة جزء من تركيبة الشخصية الإنسانية وإذا اتجهت العاطفة إلى الله تعالى فإنها تكون موجهة لعمل الخير وهي عاطفة موضوعية لا تميل إلى الهوى ولا تميل مع الهوى يحدد ذلك الله تعالى في قوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٢)الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٣)أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الانفال: ٢، ٤) .

والمسلم الملتزم بشريعة الله تعالى وعده الله تعالى بالأجر العظيم لأنه يعمل دائمًا على السير على منهاج الله داعيًا ربه خوفًا وطمعًا .

والمؤمن أكثر الناس إحساسًا بالعبودية لله تعالى وأكثرهم تكاملاً وتوازنًا في الحياة الخاصة والعامة لأنه يتعامل مع الله تعالى ولذلك فهو مطمئن في حياته الدنيا ولا يتطرق إلى قلبه القلق مهما كانت الدواعي .

والإسلام نظم للمسلم جوانب حياته المختلفة وربط شخصيته كلها با لله تعالى فإذا التزم به سار كله في طريق ا لله تعالى .

والإسلام يزيل العقبات الداخلية حين يربى المسلم على صفاء القلوب وعدم الحقد أو الحسد لأى إنسان.. والحقد والحسد يقطعان الروابط ويزيدان المشكلات الاجتماعية.. وقد طلب من الغاضب أن يقول عند غضبه أعوذ با لله من الشيطان الرجيم فإذا بالغضب يذهب عنه .

كما طلب من الغاضب أن يغير وضعه فإن كان واقفًا جلس وأن كان جالسًا

استلقى على ظهره فيكسر هذا من حدة الغضب ويصبح الإنسان أكثر هدوءًا .

و العلاقة بين المؤمنين بعضهم مع بعض علاقة مودة ومحبة فهم كالجسد الواحد إذا اشكتى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

والعلاقة بين المؤمنين بعضهم مع بعض وبين المؤمنين وغيرهم علاقة مودة ماداموا راغبين في ذلك ولو لم يكونوا أهل كتاب فقد طلب النبي ﷺ أن يعاملوا معاملة أهل الكتاب فقال : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم) الموطأ.

ثانيًا : العلم:

العلم سلاح المؤمن وكلما أوغل الإنسان في المعرفة كلما اكتشف من أسرار الكون ما يزيده تعرفًا على إنسانيته ـ فالعلم يمكن من تحقيق رسالته يقول الله تعالى : ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (المجادلة :١١) .

وجعل النبي ﷺ العلماء ورثة الانبياء وحث القرآن الكريم العلماء أن يعملوا غيرهم لينشروا العلم فقال ﴿**فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم**﴾ (التوبة :١٢٢) .

يقول بريفولت في كتابه (بناء الإنسانية على أصول الحضارة العربية) :

(لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العلم الحديث ومما يتميز به هذا المنهج أن العلم سار في ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ـ ولذلك فلم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التي نراها في العالم الغربي) .

ثالثًا: العمل

والإسلام يبرز الطاقة الحيوية واللازمة لتحقيق أهداف الحياة ويعمل على تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة الأظفار وذلك يأتى من ربط القلب البشرى بالله تعالى ومن ربط المسلم باليوم الآخر.

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء: ٧٧) .

والإسلام يوجه طاقة الإنسان إلى العمل المنتج المفيد الذي هو ثمرة الايمان با لله تعالى. والقرآن الكريم يؤكد ذلك تأكيدًا واضحًا في عشرات الآيات في مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (يونس:٨)

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً(١٠٧)خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً(١٠٨) ﴾ (الكهف: ١٠٧، ١٠٨) .

وقوله : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(١١٠)﴾ (الكهف ١١٠) .

والعمل الصالح كل ما يقوم به الانسان نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه الاسلامي بل ونحو المجتمعات الانسانية كلها .

سلوكيات الشخصية السوية: وقد حدد القرآن الكريم بعض السلوكيات المعبرة عن مكارم الأخلاق والمجسدة للشخصية السوية من خلال الحرص على تأثير السلوكيات الأساسية ومنها:

الصدق في القول والعمل: وفي ذلك يقول الله تعالى فيه :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة : ١١٩) .

والصبر على ما يقابل الانسان من مشكلات الحياة وفي ذلك يقول ا لله تعالى :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥) .

وعزة النفس وكرامتها وفي ذلك يقول ا لله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٣٠)

والتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٣) .

وللتحكم في الميول والأهواء وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا(٧٠)يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ الأحزاب: ٧٠، ٧١).

والانفاق في سبيل الله وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧) .

والإنفاق في سبيل الله هو الطريق إلى سيطرة الانسان على حب المال ـ وما من طريق إيجابي لمحاربة هذه السيطرة إلا البذل والعطاء، وعلماء الدراسات النفسية والاجتماعية يقولون: إن الزكاة وسيلة إيجابية لتحرير المسلم المزكى من سيطرة المال وحبه إذ إنها تزيد بزيادة ما عند الإنسان من مال فيظل في مأمن من سيطرة رأس المال على نفسه دائما ـ وهذا يؤدى إلى غرس الأمانة المطلقة في نفوس المسلمين.. فالإنسان يقدر بنفسه زكاة ماله ولا رقيب عليه غير ضميره ـ ولكن إحساسه بأن الله تعالى رقيب عليه يجعله لينا في التقدير سخيًا في الانفاق عادلاً مع نفسه ومع الناس.

والاسلام يهون من شأن الدنيا التى قد تصيب المسلم ببعض الابتلاء فيها وسيوفيهم ربهم أُجورهم يوم القيامة . والحياة الدنيا ما هي إلا لهو ولعب حين لا يكون وراءها غاية يعمل المسلم على تحقيقها طبقا لشريعة الله تعالى . ومنهج الله تعالى يجعلها مزرعة للآخرة وفي ذلك يقول تعالى : ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٦)

ثم يوضح القرآن الكريم أن الذي يبخل عن الانفاق في سبيل الله هو الخاسر رضا الله تعالى والله تعالى ليس في حاجة إلى أحد من عباده فيقول : ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاَءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ محمد: ٣٨) .

الإخاء الإنساني:

ومن سلوكيات القرآن الكريم الإخاء الإنساني الذي يزيد في محبة الناس بعضهم مع بعض ويعطيهم الامل والطمانينة والراحة النفسية - وفي الإسلام لايقف الإخاء عند حدود وطن أو جنس أو لون - بل هو لا يعرف حدودًا أبدًا يقول ا لله تعالى :

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات: ١٣) .

فالله تعالى جعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا لا ليطغى بعضهم على بعض ولا ليستعبد بعضهم بعضا وهذا يقتضى المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين أفراد البشرية وقد أصبح الناس في الرؤية الاسلامية نوعين :

نوع تقي بر فهو كريم على الله.. ونوع فاجر شقي فهو هين على ا لله .

وكان مما قاله النبي ﷺ في حجة الوداع « إن ربكم واحد وإن آباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم» .

تقول الدكتورة لورا فاجليري في كتابهما «تفسير الإسلام» :

«وبينما كان الناس يقاسون من الفوارق الاجتماعية أعلن الإسلام المساواة بين البشر ولم يصبح للمسلم امتياز على مسلم بأهله أو بأى عامل آخر لا يتعلق بشخصه - وإنما أصبح الميزان خشية الله تعالى والعمل الصالح والقيم الخلقية».

وقد انهى الله تعالى بالإسلام التفاخر الذي كان طبيعة الوثنية والتحدث عن الآباء لأن الناس خلقوا لآدم وآدم من تراب فأفضل الناس عند الله تعالى أخشاهم له .

والإخاء الإنساني يستلزم العدل الذي جعله القرآن الكريم واجب كل فرد وواجب كل مجتمع حيث يقول: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾** (النساء:١٥٨)

كما أنه سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين جميعًا أن يكونوا قوامين بالقسط تحت أي ظرف من الظروف حتى ولو كان مع اناس يكرهونهم فالعدل لله وحده يقول ا لله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨) .

ويقول ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢) .

والمسلم شخصيته قوية لا تتأثر بالرأى العام إذا كان مخطئًا والرسول ﷺ يوصى بذلك فيقول : «لايكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم أن تحسنوا إذا أحسن الناس وأن تتجنبوا اساءتهم إذا أساؤوا» البخاري .

وهكذا يبين لنا القرآن الكريم أسس الشخصية السوية التى تستطيع أن تحقق وظيفتها في هذه الحياة فيحقق الله تعالى ما وعدها به في قوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور:٥٥) .

شخصية المسلم: معنى الشخصية :

يعرف علماء النفس الشخصية بأنها: مجموعة الصفات والخصائص المختلفة التى يتميز بها فرد عن غيره، فهي نظام متكامل من مجموعة الخصائص العقلية والاجتماعية والذهنية والجسمية الفطرية والمكتسبة تتفاعل مع الظروف والأوضاع الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد .

تكوين الشخصية :

تتكون الشخصية نتيجة تفاعل دائم بين استعدادات الفرد الموروثة وبيئته، فالإنسان يولد مزودًا بطائفة من استعدادات فطرية منها الذكاء والقدرات الخاصة والمزاج والدوافع ويعيش في بيئته بين ناس وأشياء.. والبيت له أثره عن طريق ما يدور فيه من العواطف والصلات. وأغلب علماء النفس يرون أن مرحلة الطفولة وبخاصة الطفولة المبكرة التى يقضيها الطفل في البيت، ذات أثر عميق في الحياة النفسية للفرد، وفي تحديد الخطوط الأساسية للشخصية فيما بعد. والمدرسة لها أثرها عن طريق الرفاق والمدرسين ومركز الطفل في المدرسة وما إلى ذلك .

والإسلام لهذا كله يتدخل في تكوين الطفل منذ البداية، فيطلب أن يكون أساس اختيار الزوج والزوجة التقي. ولذلك نهى عن الزواج ممن لا دين لها. ففي الحديث الشريف: «تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك» أي أصابك الفقر والهوان إن لم تتزوج ذات الدين والحديث رواه البخاري ومسلم . وهو بذلك يكسبه صفات وراثية سليمة ثم يهيئ له جوا هادئًا قائمًا على أساس من المودة السكن والطمأنينة بحيث يعطى للطفل كل حاجاته الجسميةوالنفسية والاجتماعية في ظل الإسلام ومثله .

ويرسم الاسلام طريق التربية فى البيت وفي المسجد وفي المدرسة وفي المجتمع في ظل القيم الإسلامية .. إذ أن مما يعين على تكوين الشخصية القوية أن تسير في طريق الخير الذي يعطى للشخصية حيويتها وقدرتها على أن تكون إيجابية تحفظ قوام حياتها العقلية والجسمية والروحية من أن تتبدد في الشباب. ولذلك فإن الرسول يسدى نصيحة للمسلم بقوله : «قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم. والقرآن بين له ذلك

في : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين﴾ (التوبة : ١٢٠). وطريق الشر وأن كان يلذ للإنسان في أوله ويجد فيه السرور فإن ذلك قصير الأمد، ثم يفضى إلى أن تتهدم الشخصية تماما .. ومن هنا فقد حرم الله طريق الشر كله، وأبان للمسلمين أن الله لا ينظر إلى صورهم وأجسامهم ولكن ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم .

والمسلم مع هذا مطالب بألا يغالى في العبادة ،بل عليه أن يعطى جسمه حقه وروحه حقها . ومصدر الاضطرابات التى نراها في مجتمعنا الحديث العناية بناحية وإهمال الأخرى. وفي الحديث الشريف: « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى» رواه البزار عن جابر.

ومن حكم الإمام على كرم الله وجهه : «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إن كلت عميت» .

ومما يقوى شخصية المسلم أن يسير في حياته في أسلوب الاعتدال ففي المال لا يسرف ولا يقتر متبعًا قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (الإسراء: ٢٩) وفي الطعام كذلك: ﴿ ...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا..﴾ (الأعراف: ٣١) وقد أثبت الطب الحديث أن كثيرًا من الاضطرابات العقلية والجسمية إنما تجئ من الاسراف في الطعام والشراب. بل إن كل ما حرمه الإسلام إنما حرمه من أجل الحفاظ على الكيان الإنساني، ومن ذلك الخمر والمخدرات لأنها تفقد الإنسان سيطرته على أعصابه ، ومن ذلك أيضا الربا والقمار والغش والكذب والنميمة والتجسس لما لذلك من أثر سيء على الصحة النفسية للفرد والمجتمع. ثم هو يقويها بالرياضة الجسمية وبالتعاون على الخير وبالتواصى بالحق والصبر وبتهيئة الجو الإسلامي الذي يعمل على إسعاد الفرد وإسعاد المجتمع، ويجعل المسلم يشعر بالرضا والاطمئنان ، ويعمل الخير للمجتمع. وبذلك يكون الفرد قويًا. والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

والفرد في جماعة المؤمنين له شخصية وله كيان خاص له حقوقه قبل الأفراد وقبل المجتمع ، ذلك لأن الإسلام لا يذيب الفرد في المجتمع ولا يجعل الفرد يطغى على المجتمع؛ ولذلك قال الله في كتابه الكريم : ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء**

بعض ..﴾ في صيغة الجمع .

ومن هنا يمكننا أن نقول: إن الإسلام ضد إفناء الفرد في المجتمع وبالتالى ضد إهدار حرمته وإلغاء كيانه الخاص .

الشخصية المتكاملة :

الشخصية المتكاملة هي الشخصية الناضجة التى تستطيع أن تنتج إنتاجًا معقولا في حدود استعداداتها وقدراتها، وتستطيع أن تعقد مع الناس صلات اجتماعية راضية مرضية، مع تحمل صعوبات الحياة، والشعور بالرضا، وضبط النفس وعدم التناقض في التصرفات ، والإسلام يحرص على أن يكون المسلم ذا شخصية متكاملة، تستطيع أن تعمل وأن تنتج وأن تكون راضية عن نفسها وعن تصرفاتها المطابقة لنظام الإسلام.

وليس المهم أن يوجد بالإنسان نقص، ولكن المهم ألا يعوقه هذا النقص عن السير في الطريق الذي يحقق له هدفه. فإذا ما حدث للمؤمن أزمة أو شدة على غير ما كان يتوقع فعليه أن يطمئن إلى أن الخير قد يكون في ذلك **﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** (النساء: ١٩) . والشدة التى تأتى للمسلم فيها فائدة لأنها تشد من عزمه وتعوده تحمل الصعاب الموجودة في الحياة، ومع ذلك فللصابر أجره عند الله **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (الزمر: ١٠) .

ولكن الإنسان عليه في البداية أن يفكر في الأمر ويستشير أهل الذكر ويستخير الله ، فإذا عزم فليتوكل على الله، فإذا ما كانت النتيجة على غير ما يهوى فلا ينبغي أن يفلت الزمام منه، ولا أن يقضى وقته في التحسر على ما فات. يقول النبي الكريمﷺ: «.. استعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان» رواه مسلم . فالمسلم لذلك لا يتحسر على ما فات إذ أن ذلك مجهد للنفس بلا فائدة، وإذا ما كانت الشدة بالنسبة لجماعة المؤمنين فإنها شدة لا تلبث أن تزول، والصراع بين الحق والباطل صراع في وضعه الطبعى ، والله يقول في مثل هذا الموقف: **﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (آل عمران: ١٣٩) والشدة التى يقع فيها المؤمنون

من طبيعتها أن تميز الخبيث من الطيب وتظهر المخلص من غيره وتصهر المؤمن في بوتقة الشدة : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤) ومع ذلك فإن على المؤمن أن يؤدى واجبه، وأجره على الله . أما النصر فيأتي بالطريقة التي يريدها الله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُم﴾ (محمد:٣٦) .

ويتوج هذا كله بالأمل في كل الأحوال فالمسلم الكامل لا ييأس أبدًا ﴿وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ..﴾ (يوسف: ٨٧) فاليأس والإيمان لا يجتمعان في قلب مؤمن كما يقول النبي ﷺ.

والمسلم بعد هذا مسئول عن تصرفاته لا عن تصرفات غيره: ﴿.. وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ..﴾ (الاسراء:١٥ . ﴿.. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ . ﴾ البقرة: ٢٨٦) وهو كالحارس المسئول عن منطقة خاصة عليه أن يحرسها ، وكل عضو في المجتمع راع ومسئول عن رعيته : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ..» رواه البخاري.

مقومات الشخصية الاسلامية :

يقول علماء النفس : أن مقومات الشخصية هي الصحة الجيدة والذكاء والشجاعة والمهارة والحماسة والحكم السليم والخلق والثقافة والتواضع والثقة بالنفس والعدالة .

والإسلام يرى هذه المقومات ويضعها في إطارها الإسلامي الذي يميز شخصية المسلم عن غيرها من الشخصيات، فهو يعنى ببناء النفس من الداخل، وهو يصوغ المسلم صياغة إنسانية جديدة أساسها الصلة بالله وإبراز خصائص الانسانية العليا، ويطهره من أدران الغرائز الدنيا ، ويتجافى به عن كل ما لا يتفق مع كمال إنسانيته وطبيعة فطرته، واستكمال معاني القوة والجمال والسمو بعقله ووجدانه وجسمه ليكون في أحسن تقويم .

والقرآن الكريم يبين للمسلم مكانته من مخلوقات الله، فالله سبحانه وتعالى كرمه وفضله على كثير من مخلوقاته :﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الاسراء: ٧٠) .. وذلك لأنه سواه ونفخ فيه من روحه وطلب من الملائكة الاطهار أن يسجدوا له ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩) . ثم جعله خليفة له في الأرض وجعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر العدل في هذه الأرض كما تنشر المساواة بين الناس جميعًا .

الاسلام يزيل العقبات ليحرر الشخصية الإسلامية:

والإسلام يزيل كل العقبات التى تقف أمام شخصية المسلم لينطلق في هذه الحياة مؤديًا لواجبه طبقًا للأساس الذي رسمه له الإسلام فهو خير من يحرره من الخوف، والخوف بجميع أنواعه، الخوف من الفقر، ومن اللهم ومن الحزن ومن العجز ومن الكسل ويطلب منه أن يدعو دائمًا : «اللهم إنى أعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت» ذلك لأن المسلم متصل بالله اتصالاً كاملاً؛ ومسلم وجهه له وهو يطلب منه الهداية والعون والقوة فهو لايعبد غيره ولايستعين بغيره، وهو يطلب منه أن يهديه الصراط المستقيم مرات عديدة في كل يوم وإذا كان الله هو سنده وعونه فممن يخاف؟ وما الذي يهمه في هذه الحياة...؟ والأمة لو اجتمعت على أن ينفعوا أي أحد لم ينفعوه إلا بشئ قد كتبه الله له ولو اجتمعت على أن يضروه لم يضروه إلا بما كتب الله عليه كما جاء في وصية الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وراحة الانسان وسعادته تأتي من الصلة القوية بالله، أما المال فهو حلوة خضرة إذا أخذه المسلم من طريق الحلال وأنفقه طبقًا لتعاليم الإسلام وإلا فهو شر، ومع ذلك فليس للإنسان من ماله إلا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأبقى، وإذا خاف

الإنسان الفقر فعليه أن يطمئن فالرزق بيد الله ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود:٦) . فهو سبحانه قد ضمن الرزق لعباده جميعًا: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات:٢٢) .

وحاجات الإنسان الضرورية تكون في الأمن وفي الصحة وفي الضرورى من القوت وفي الحديث الشريف: «من أصبح آمنًا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» رواه الترمذي. وهذا ما قرره علماء الاقتصاد في العصر الحديث.

وإذا خاف الإنسان من طغيان ظالم فعليه ان يطمئن إلى الله وإلى قوته فالله قادر على أن يهلك الظالمين وينزل بهم أليم عقابه : ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام :٤٧) . ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (إبراهيم: ٤٢) . والله ولي المؤمنين ينصرهم ويؤيدهم ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٦٠). وإذ نصر المؤمنون الله فقد تكفل الله بنصرهم : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧) . أما ما يصيب الفئة المؤمنة من الاضطهاد والتعذيب فذلك أمر طبيعى ليميز الله الخبيث من الطيب. وليبين الصادق من الكذاب: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١) . وعناية الله بالفئة المؤمنة دائمة وثوابه محيط بهم ورحمة الله لهم واسعة .

وقد بلغ من عناية الإسلام بتكوين شخصية المسلم وبث الاطمئنان في قلبه أن بين له أن كل ما في الكون خلقه من أجله : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة:٢٩) ..كما بين له أن الله رحيم به إذا دعاه فهو المجيب له: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة : ١٨٦) . وإن طلب منه العون أعانه، بل أن النبى الكريم ﷺ بين قوة صلة العبد بالله بهذا التشبيه الرائع الذي يقول فيه كما جاء في البخاري عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :«قدم على رسول بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلب ثديها، إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ : أترون

هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ وهي تقدر على ألا تطرحه! ـ قلنا لا والله ـ قال: فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها» .

وبهذه التربية استطاع الإسلام أن يكون شخصية المسلم المتكاملة التى تعيش في سعادة والتى تؤدى رسالة الله في هذا المجتمع فتنشر الأمن والطمأنينة في هذه الحياة وتحمل المودة والعطف والمساواة التامة بين الناس فيسعد المجتمع أيضًا .

وإذا سعد الفرد وسعد المجتمع فقد اكتمل ما يريده الإنسان، وهذا ما تسعى الفلسفات المعاصرة في الوصول إليه لولا أنها أخطأت الطريق، وفي ذلك يقول ديوارنت في كتابه «قصة الحضارة» «الخاصة المروعة في حضارتنا هي أن تقدمها المادي أكبر بكثير من تقدمها الروحي، إننا نغالى في تقدير إنجازاتنا المادية ولا نقدر أهمية العنصر الروحي في الحياة حق قدره» .

والخطة التى وضعها الاستشراق لتحطيم شخصية المسلم تتلخص في أنه حسب ما جاء في كتاب «المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي» في قوله «دعوة المسلم إلى الكفر تلقى نفورًا في المجتمع الإسلامي ويكاد يكون من المحال إحراز تقدم فيه باعتناق هذه الدعوة. ولذلك ينبغي أن تكون الخطة أولاً تجريد شخصية المسلم من الالتزام بالتكاليف وتحطيم قيم الدين الأساسية في نفسه بدعوى العلمية والتقدم دون مساس بقضية الآلوهية مؤقتًا لأنها ذات حساسية خاصة .

وبمرور الزمن ومع إلف المسلم لهذا التجريد يسهل في نهاية الأمر تحطيم فكرة الآلهية أساسًا في عقله ووجدانه، وإذا بقيت ـ افتراضا ـ فلا ضرر منها ولا خطر لأنه حينئذ لن تكون سوى بقايا دين كان موجودًا ذات يوم بعيد» .

وقد نجحوا إلى حد كبير في تنفيذ مخططهم ولكن العالم الإسلامي استيقظ وبدأ يزيح عن طريقه كل العقبات ليسير في الطريق السليم، طريق الإسلام الذي يحقق للمسلمين ذاتيتهم وسعادتهم وللبشرية آمالها واطمئنانها .

التوافق النفسي:

التوافق النفسي: تعبير يقصد به قدرة الفرد على أن يشعر بالاطمئنان وراحة البال وهدوء النفس ـ بعيدًا عن القلق والحيرة والتوتر وضيق النفس. والتوافق النفسي عملية إيمانية مستمرة تواجه مطالب الحياة المتغيرة .

وللإنسان قدرة معينة على استيعاب المثيرات التى يطلق عليها: العتبة النفسية. فإن زادت عن حدها وعجزت ميكانيزمات الجسم على التكيف معها فإن ذلك يؤدى إلى الاختلال في السلوك وبذلك يظهر السلوك العدواني في أكثر الحالات .

قد يكون العدوان على الزوجة والأطفال فينشأ الأطفال عدوانيين.

وقد يكون العدوان على النفس ـ فيؤدى ذلك إلى الانهيار العصبي أو الانتحار .

والإسلام عقيدة استعلاء من أهم خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها الثقة في الله والاطمئنان إليه من غير تواكل والتوافق مع النفس من غير حدود .

والمسلم يحس بصلته بالله تعالى خالقه، كما يحس بكيانه في هذه الحياة باعتباره خليفة في الأرض يعمرها طبقًا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى ـ فهو لذلك متوافق مع نفسه شاعر بالأمن النفسي ـ لأنه يعيش في إطار فكري ووجداني يستمد منه دائمًا أنماطًا سلوكية سليمة، وبالتالى سلوكًا توافقيًا نفسيًا سليمًا ـ لأن الله سبحانه وتعالى يعطيه الأمن والراحة النفسية وهو في هذه الحياة يعمل على إحقاق الحق وإبطال الباطل. وإلى جانب ذلك فإنه يحس بأن ما في الكون صديق له وقد سخره الخالق سبحانه وتعالى له .

نعم إن الإسلام يعطى للفرد أهميته ويجعل له كيانًا مستقلا ، ويبين له أن حياته كلها خير سواء أكانت مريحة من وجهة نظر الناس أم غير مريحة والرسول ﷺ يقول : «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» مسلم.

وقد أرشد الإسلام المسلم إلى الطريق الذي يقوى التوافق النفسي عند المسلم في فترات الشدة وهو الاستعانة بالصبر والصلاة يقول الله تعالى : ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: ١٥٣) ويبشر الصابرين بالأجر العظيم فيقول: ﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (البقرة : ١٥٦) والمسلم يؤمن بالله تعالى الإيمان الصادق العميق ولا ييأس من روح الله لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى صلة يومية مستمرة بين العبد وربه هي الصلاة التي يستمد منها الإيجابية المتزنة ـ إلى جانب الزكاة التي تجعله يحس بالراحة النفسية لأنه تحرر من سيطرة حب المال على نفسه الذي قد يؤدي به إلى مشكلات تفقده التوازن النفسي ـ والبذل في سبيل الله تعالى هو الطريق إلى سيطرة الإنسان على حب المال، إلى جانب أنها تحقق في المجتمع التكافل والتعاون، ثم الصوم الذي يعطي للإنسان قوة الإرادة، والحج الذي يجعل المسلم يحس بأنه يقتدى بإبراهيم عليه السلام .

وبذلك يكون المسلم في قمة التوازن النفسي وقد لحظ هذا المعنى الدكتور ولفريد كانتويل الذي قال: ما من دين استطاع أن يوحى إلى المتدينين به شعورًا بالعزة ـ كالشعور الذي يحس به المسلم من غير تكلف ولا اصطناع.

مظاهر التوافق النفسي

ولكي يكون الإنسان متوافقًا مع نفسه، فلابد وأن يكون قادرًا على التعامل معها وأن يعرف كيف يسيطر عليها وكيف يسعد بها .

وفكرة الإنسان عن نفسه هي النواة الأولى التي يقوم عليها التكيف النفسي، وفكرة الإنسان عن قدراته وإمكاناته وعلاقاته مع الناس ونظرته إلى ذاته كما يجب أن يكون ـ كل ذلك من عوامل توافق الإنسان مع نفسه وتقبله لذاته .. مع الشعور بالسعادة والارتياح فيما يقوم به من تصرفات يقول فانكل.

إن للإنسان قدرة على أن يحيا من أجل قيمه ومثله العليا وهو أيضًا يستطيع الموت في سبيلها . ومدى نجاح المسلم يظهر في التزامه بالقيم العليا المستمدة من القرآن

الكريم والسنة النبوية، وقدرته على السمو بها والالتزام الدائم، وذلك يجعله يحس بأنه متميز على غيره من المخلوقات ومن بني الإنسان ، فهو يعمل و ينتج ويحقق أهدافه، مع الالتزام بالمثل والقيم العليا .

ومن مظاهر التوافق النفسي وقدرة الإنسان على توجيه حياته توجيهًا ناجحًا وأن يشبع حاجاته بطريقة سوية ومنها المرونة: بمعنى أن الإنسان يستجيب للمؤثرات الجديدة استجابة ملائمة يتوافق معها الفرد مع البيئة الجديدة ـ دون أن يغير من طبيعته الأصلية.

ومنها إقبال المسلم على عمله في همة واطمئنان : مما يزيد في كفايته وفي قدرته على مواجهة المشكلات بطريقة موضوعية فيشعر بالراحة والاستقرار والهدوء .

ومنها العمل المستمر من أجل الخير العام لكل من في الكون وما فيه ـ بحيث لا ينتظر الجزاء إلا من الخالق سبحانه وتعالى والرسول ﷺ يقول : ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة متفق عليه.

ومنها القناعة: وعدم الاتجاه إلى الحياة العصرية المتمثلة في الاستهلاك والمزيد من الاستهلاك ، فغنى النفس هو الغنى الحقيقي يقول الرسول ﷺ : «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» البخاري.

يوضح الرسول ﷺ نموذجًا للتوافق النفسي مع متطلبات الحياة فيقول: «مَنْ بات آمنًا في نفسه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» البخاري.

نماذج قرآنية:

ويعطينا القرآن الكريم نماذج للتوافق النفسي القائم على الإيمان با لله تعالى والالتزام بمنهجة بعيدًا عن أعراض الحياة الدنيا ومفاهيمها واتجاهاتها وقيمها فامرأة فرعون كانت امرأة أعظم رجل في العالم في ذلك الوقت، وكانت تعيش في أمتع مكان وأعلى منزلة وكانت تجد كل ما تشتهيه ـ ولكنها مع ذلك كله توافقت مع نفسها واتجهت

إلى الله تعالى وتركت كل المؤثرات وطلبت من ربها أن يتولاها بعنايته ورعايته، وأن ينجيهامن فرعون وعمله، وأن ينجيها من القوم الظالمين، وأن يبنى لها بيتا في الجنة، ولذلك استحقت الإشادة بها في القرآن الكريم فقال الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم:١١).

ويوسف عليه السلام: كان متوافقًا مع نفسه حين امتنع عن الاستجابه لما تريده سيدته امرأة العزيز، وحين امتنع عن الاستجابه للنسوة اللاتي قطعن أيديهن، وحين أعلن بأن السجن احب إليه مما يدعونه إليه، ورحب بدخول السجن وقال الله تعالى في قرآنه الكريم : ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ(٣٢)قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: ٣٢،٣٣) .

ودخل السجن ومكث فيه بضع سنين، وفي السجن كان داعيًا إلى الله سبحانه وتعالى وقال لزملائه في السجن : ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(٣٩)مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ (يوسف: ٣٩ ، ٤٠)

وكان متوافقًا أيضًا مع نفسه حين عرض عليه أن يخرج من السجن فأبى إباء شديدًا، اللهم إلا إذا ثبتت براءته من التهمة التى الصقت به ودخل من أجلها السجن:

﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٠) .

فاعترفت امرأة العزيز بالحقيقة وقالت:

﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف : ٥١) . وذلك بعد تفسير حلم الملك وإنقاذ المجتمع من المجاعة عندئذ خرج من السجن واستخلصه الملك لنفسه وتولى خزائن الأرض .

ومن العناصر المبهجة للتوافق النفسي والاطمئنان القلبي ما رأيناه من سلوك بعض الممثلات اللاتي كن يملأن الإذاعة والتلفاز والخيالة وأشرطة الفيديو بالتمثيل والغناء والرقص، وكن يأخذن من الأموال الكثير والكثير ومن الشهرة ما لا يخطر على بال، ثم تُبْنَ إلى الله فأحسسن بالتوافق النفسي والرضا الكامل. لقد وجدن أنفسهن وشعرن بالراحة النفسية الكاملة. ولقد تحملن الكثير من الضغوط المتنوعة والإغراءات المختلفة ولكن توافقهن مع أنفسهن جعلهن يتمسكن بالعودة إلى الله تعالى والالتجاء إلى حماه لأنهن شعرن بالسعادة الحقيقية والاطمئنان النفسي وصدق الله العظيم القائل: ﴿**الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(٢٨)الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾ (الرعد : ٢٨، ٢٩) .

ولقد أغفلت الحضارة الغربية في تقدمها الإنسان ولم تهتم بمشاعره ولا بعواطفه حتى سميت بـ «حضارة الأشياء » ولذلك فإن الإنسان في الغرب غير متوافق مع نفسه، وهو يحاول أن يخرج من معاناته بالحبوب المهدئة والحبوب المخدرة والحبوب المنومة تحت عنوان أصبح مشهورًا «هيا بنا نذهب إلى الجنة» .

وأحيانًا لا يكتفون بذلك فيخلصون من حياتهم بالانتحار الذي أصبح له نظام وجمعيات وحفلات واشتراكات ولقد تحول الإنسان في الغرب إلى تلوث جسدى وحقل تجارب ودخل في أزمات وأزمات وافتقد أهم شئ في الحياة التوافق النفسي والاطمئنان القلبي .

لقد كانت الكنيسة في الماضى ترى أن الإنسان مخلوق وضيع لايملك أية طهارة ولا يتمتع بأية فضيلة . إنه عند أصحاب نظرية الخطيئة الأولى مخلوق ساقط بهيمي تعميه الشهوات ، ثم حدث الخلاف المعروف بين العلماء ورجال الدين، وترتب عليه ما ترتب من قتل وتشريد .

وترك المسيحيون دينهم واتجهوا إلى الماديات وحدها، فأحدث ذلك في النفوس الاختلال وعدم القناعة في متطلبات الحياة، وترتب عليه عدم التوافق . يقول العالم

الفرنسـي الدكتور ريدي بروجي «إن الخطر يكمن في المدنيـة الماديـة البحتـة ـ ويمكن تلخيصه في أنه يوجـه إلى هذه المدنية نفسـها ـ وهذا الخطر هو الاختلال وعدم التوازن المتوقع حدوثه إذا لم تجد الحياة الروحيـة لها طريقًا ـ إلى جـانب المدنية المادية ـ تعيد إلى الحياة الإنسانية توازنها الذي تفتقر إليه » .

إن الإنسان في الحضـارة الغربية على الرغم من تقدمه المادي يحس بأنه بلا وظيفة في هذه الحيـاة ، وهو يتسـاءل: لمـاذا جاء؟ ومـاذا يفعل؟ وإلى أين المصـير؟ ويمثل هذا قول إيليا أبو ماضي:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت

وسأبقى حائرًا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري

ولقـد حـاول التغلـب على هذا الخـواء الروحـي بالاسـتهلاك السـلبي للأصوات والمشاهد التي تقدمها له صناعة التسلية، إلى جـانب شراء الأشياء الجديدة ثم استبدالها بغيرها وهكذا. وكلها أساليب مصطنعة في القضاء على شعور الفرد باغترابه عن ذاته، وذلك كلـه لم يـؤد إلى نتيجـة ـ إنـه يفتقـر إلى الوعي الأخلاقي الذي يوقـظ إحساسـه بالقيم. وإلى الاتصال بالله سبحانه وتعالى الذي يجعله يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

حل المشكلة :

إن حل هذه المشـكلة المعقدة موجوده في التربيـة الإسـلامية التـي تحقق الشـخصية المتكاملـة المتوافقـة مع نفسـها ومع المجتمع والتـي تؤدي رسـالة الله تعـالى للمجتمعات البشرية كلها. والمثل في ذلك رسول الله ﷺ الـذي يستمد منه المسلم في شتى ظروف الحياة حوافز قوية مؤثرة في كل جوانب الحياة .

بذلك يحـدث التوافق النفسـي الذي يجعـل الفرد هـادئ النفس مطمئـن القلب مؤد

بذلك يحدث التوافق النفسي الذي يجعل الفرد هادئ النفس مطمئن القلب مؤد لوظيفته في الحياة وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه : ١٢٤) .

والذي رسم خطة الحياة لنبيه فقال: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى(١٣١)وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه :١٣١، ١٣٢) .

التوافق الاجتماعي :

تعبير يقصد به قدرة الفرد على الثبات والجلد حيال الأزمات والشدائد التى تحل به بحيث ينتج إنتاجًا معقولا في حدود ذكائه وإمكاناته الجسمية والعقلية وبحيث يعقد مع الناس صلات اجتماعية راضية مرضية ـ وذلك كله يجعله يشعر بالأمن والاطمئنان وراحة البال فتنساب حياته خالية من التوتر والقلق وضيق الصدر .

والمتوافق اجتماعيًا : يوصف بأنه ناضج انفعاليًا لأنه يتعامل مع مجتمعه بالحب وهو أقدر على ضبط نفسه في المواقف التى تثير الانفعال ولايشعر بحاجة إلى السيطرة أو العدوان على من يقترب منه من الناس أو برغمة ملحة في اطرائهم له أو استمرار عطفهم أو طلب المعوانة منهم .

التوافق الاجتماعي في الإسلام

وعقيدة المسلم تجعله يحس بالتبعة الإنسانية الملقاة على كاهله تبعة الوصاية على البشرية وهداية أفرادها إلى الطريق المستقيم .

والتوافق الاجتماعي في الإسلام يبدأ من صلة المسلم بخالقه والسير على منهاجه ومن نظرة الإسلام إلى الناس فهم متساوون أمام الله سبحانه وتعالى في الدينا والآخرة.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧) ولذلك فليس في الإسلام من يدعى أنه من نسل الآلهة أو أن الدم الذي يجرى في عروقه ليس من نوع دماء العامة أو أن الله فضله وقومه بصفة خاصة ـ وبذلك أنهى الإسلام كل الموانع التى توجد عدم التوافق الاجتماعي مثل التفاخر والتعصب والتكبر ـ كما أوجد كل العناصر التى تربط المجتمع كله بعضه ببعض وتجعل التوافق الاجتماعي قائمًا بصورة قوية حتى يستطيع أن يقوم بوظيفته .

فالإسلام يسكب في الحياة كلها التوافق الاجتماعي لأن الناس جميعًا من أب واحد ومن أم واحدة وهم متساوون في الحقوق والواجبات ـ والأسرة قائمة على السكن والمودة والمجتمع تشيع فيه الأخوة والحب والمساواة والعدالة والتعاون على الخير والتكافل الاجتماعي الكامل واحساس المسلم بأن له رسالة سامية في الحياة تجعله يرتفع وضميره ونشاطه وعمله ـ فلا يستخدم إلا الوسائل المشروعة ليصل إلى الأهداف المشروعة .

ويرسم الرسول ﷺ صورة للتوافق الاجتماعي فيقول:

«لاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا ولايغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا» البخاري ويوصى النبي ﷺ بالإيجابية في الحياة الاجتماعية فلا يكون المسلم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وأن أساؤوا أسأت ولكن على المسلم أن يحسن إذا أحسن الناس وأن يتجنب إساءتهم إذا أساؤوا ـ بل إن النصيحة واجبة على كل مسلم كذلك منع المنكر باليد أو باللسان أو باللقلب إذا لم يستطع غير ذلك ـ وإذا ما جلس المسلمون في الطريق فعليهم أن يعطوا الطريق حقه الذي يتمثل في غض البصر وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

عناصر التوافق الاجتماعي:

وتتلخص عناصر التوافق الاجتماعي في:

١ـ وحدة المجتمع الإسلامي: فالمؤمنون أخوة تشيع بينهم المودة وكل فرد يحس بأنه لبنة في بناء عظيم يشد بعضه بعضا وبأن المسلمين جميعًا كالجسد الواحد إذا

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ـ وتبدأ الوحدة بالأسرة المصغيرة التى لها نظامها وضوابطها فذلك يجعل التوافق الاجتماعي قائمة بصورة محسوسة تجعل المسلم سعيدًا سليمًا مطمئنًا .

٢ـ العدالة الاجتماعية: وهي تتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجدانات والقيم التى تتناولها هذه العدالة هي القيم المعنوية والروحية .

والمطلوب في المجتمع الإسلامي أن يكون أفراده قوامين بالقسط شهداء لله ـ ولا يقبل أن تؤثر المشكلات الخاصة أو الأحتكاكات الاجتماعية على العدالة ـ لأن العدالة مردها إلى الله الذي يحاسب كل إنسان على شهادته ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (المائدة: ٨) . ويغرس الإسلام في نفوس المسلمين الإحسان في المعاملة وذلك يعنى التماس الأعذار للناس وذلك يشيع المودة ويجعل الحياة الصعبة مقبولة والتوافق الاجتماعي حقيقة واقعة :

﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(٣٤)وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ (فصلت : ٣٤، ٣٥) .

وفي **الجانب الاقتصادي:** يقرر الإسلام أن المال مال الله والمسلمون مستخلفون فيه ـ وهم مطالبون بأن يكتسبوا من حلال فلا ربا ولا غش ولا سرقة ولا احتكار ولا تجارة فيما حرم الله وهم مطالبون أيضًا بإعطاء الفقراء والمساكين وغيرهم حقوقهم من زكاة وصدقة وإنفاق في سبيل الله بحيث لا يبقى في المجتمع محروم ولا محتاج إلى جانب صلة الرحم وإعطاء الجار حقه والإحساس بالرابطة الإسلامية العامة .

٣ـ القناعة: والقناعة من عناصر التوافق الاجتماعي وذلك يجعل المجتمع مطمئن النفس هادئ القلب قادرًا على أن يودى وظيفته في ظل القيم الاجتماعية وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري: «من بات آمنا في سربه معافى في بدنه عند قوت يومه

فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» .

٤ـ **عمل الخير:** وعمل الخير في المجتمع لما في ومن فيه له أثره ففي التوافق الاجتماعي ما دام الانسان لايبتغي إلا رضوان الله تعالى ـ فالجزاء يجده في الدنيا في الإحساس بالرضا وطمأنينة النفس ويجده في الآخرة في جنة عرضها السموات والأرض وفي ذلك يقول الشاعر :

ازرع جميلا ولو في غير موضعه فلن يضيع جميل أينما زرعا

إن الجميل وإن طال الزمان به فليس يحصده إلا الذي زرعا

أثر التوافق الاجتماعي: المسلم يستمد اتجاهاته وقيمه وأنواع سلوكه من تعاليم الإسلام فهدفه إرضاء الله تعالى والسير على منهاجه ليكون من المتقين .

والعلم الحديث يعطينا معلومات جديدة تفيدنا في حياتنا لقد عكف الطبيب جايمس هاوس وزملاؤه في مركز الدراسات الاستطلاعية في آن اربور التابعة لجامعة ميتشين على دراسة حالات ثلاثة آلاف شخص طوال أربعة عشر عامًا وخلص إلى النتيجة الآتية: «التوافق الاجتماعي يمد في الأعمار ونسبة قلة أعمار الذين ليس لديهم توافق اجتماعي تزيد مرتين ونصف عن الذين لديهم توافق اجتماعي ومثل هذه النتيجة توصل اليها أطباء الأوبئة في جامعة ميل بيوهن فقد توصلوا إلى أن أفعال الخير تعيد نظام المناعة في الجسم فالذهن ونظام المناعة مترابطان على نحو دقيق وقالوا : إن ثمة مسارب عصبية تربط الذهن بالجسم وتمنح العظام والطحال اللذين يفرزان الخلايا الضرورية المادة اللازمة لمكافحة الأمراض السارية .

وهذه الأبحاث تفيد الإنسان في جعل أهم هدف له في الحياة التوافق الاجتماعي حتى يعيش في أمن وطمأنينة ورضا عن النفس وعن المجتمع وعن الكون وعن الحياة وهذا التوافق لا يقدر بمال .

إن المجتمع الإسلامي: يبنى لأهداف يحققها كل مسلم في حياته ـ وبناؤه للحياة هو

بناء لما بعد الحياة أيضًا ما دام يريد بعمله وجه الله تعالى وكل ذلك يتطلب من المسلم جهدًا أكبر من جهد الآخرين والغاية من هذا كله تحقيق التوافق الاجتماعي الذي يسعد الفرد والمجتمع وهذا ما لم تستطع آية حضارة أن تحققه وهذا ما جعل بعض الكتاب الأوربين يقول « لقد حول النبي محمد جماعة المؤمنين إلى مجتمع متحد يؤمن بالله وتحميه أعلى القيم الإيمانية» .

وحياة المسلمين المعاصرة تأثرت بالحضارة الغربية الحديثة في مجالاتها المختلفة ـ ولذلك شاع عدم التوافق الاجتماعي الذي جعل الناس يسيرون في حياتهم بأسلوب غير إسلامي وبأهداف غير إسلامية وبمشاعر غير إسلامية محاولين إشباع الوهم ويبررون كل أنواع السلوك غير القويم ويستهلكون أوقاتهم فيما لا يعود عليهم بالمنفعة.

والمجتمع الإسلامي: لايمكن أن يحقق توافقه مع نفسه ولا مع المجتمعات الأخرى إلا إذا بقي متصلاً بحقائق وجودة الأساسية فيحس بجمال الحب وجمال التماسك وجمال العمل في الدنيا بهدف الآخرة وبذلك يؤدى أفراده وظيفتهم في الحياة فيرضون عن أنفسهم وعن مجتمعهم ويرضى الله تعالى عنهم وبذلك يشعرون بالسعادة والاطمئنان وعلى المسلمين في مجتمعاتنا الحاضرة أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم وأن يسيروا مع الآية الكريمة : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣) .

المناعة الجسمية :

عرفت المناعة الجسمية حديثًا :وقال علماء الطب أن جسم الإنسان يكتسب المناعة عن طريق العناية بالطفل العناية الكاملة منذ أن يكون في بطن أمه ثم بالرضاعة الطبيعية والتغذية الكاملة والصحة الشخصية وإعطاء الطفل حاجاته النفسية والاجتماعية عندئذ تتكون المناعة الجسمية إذ يتكون من فيروسات الجسم فريق للاستطلاع وفريق للإدارة وفريق للهجوم وذلك لمقابلة أي فيروس مرضى يأتى لجسم الإنسان وطلب العلماء الإنسان بأن يبتعد عن الأشياء التى تسبب فقدان المناعة الجسمية مثل التدخين والإكثار

من المخللات والشاي والقهوة والدهون والخمور والمخدرات والبعد عن السلوك غير السوى مثل اللواط والزنا .

التربية الإسلامية: والتربية الإسلامية عنيت عناية كاملة بالطفل منذ أربعة عشر قرنًا من قبل أن يولد وذلك بإيجاد البيئة الصالحة التى تربية سوية وذلك باختيار الاب والأم الاختيار القائم على التقوى ثم عنيت بالطفل وهو في بطن حيث أباح لها الإفطار في رمضان إذا كان الصوم يؤثر على الجنين ثم بالرضاعة الطبيعية التى تعطى للطفل حاجاته الجسمية والنفسية ثم بالتغذية السليمة بعد ذلك وقد أوضحت هيئة رعاية الطفولة والأمومة بالعناية بنظافة الغذاء حتى لا تكون ملوثة بالجراثيم ثم بأن تكون مستوفية للعناصر اللازمة لاحتياجات الجسم وهي مواد البناء ومواد الطاقة والمواد الوافية من الأمراض.

التغذية: والإسلام طلب من المسلمين ألا يحرموا شيئا مما أحله الله لهم وشجعهم على تناول كل أنواع الطعام الحلال وبين لهم أن من الأطعمة المفيدة للجسم عسل النحل ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (النحل:٦٩) . وقد حرم من الأطعمة والأشربة ما يؤثر على صحتهم الجسمية وذكر بعض المحرمات في الآية الكريمة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ (المائدة: ٩٠) ولقد لحظ الطبيب الروسى بوحمر لنتر صاحب الأبحاث في إعادة الشباب أن احدى القبائل المسلمة في يوغسلافيا يزيد متوسط العمر فيها على مائة عام وقد وجد أن السبب الأساسي في ذلك : أن هذه القبيلة تعتمد على لحم الغنم وتأكل عسل النحل وتشرب لبن الماعز ولا تأكل لحم الخنزير ولا تشرب الخمر .

والإسلام يطلب من المسلمين عدم الإسراف في تناول الطعام ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ (الاعراف: ٣١) لأن الأسراف في الطعام له أثر سيء على صحة الجسم كله فالإنسان يأكل ليعيش وحسبه لقيمات يقمن صلبه .

النظافة: والصحة الشخصية تكون عن طريق النظافة الدائمة للجسم كله والوضوء المتكرر يحقق للمسلم ذلك إلى جانب الاغتسال واستخدام السواك وغيره .

ومن الصحة الشخصية ابتعاد المسلم عن معاشرة زوجته في فترة الحيض لما لذلك

من أثر سيء في صحة الإنسان .

ومن ذلك أيضًا الابتعاد عن كل ما حرم الله من الزنا واللواط وتعاطى المسكرات لأن ذلك كله يفقد الإنسان مناعته الجسمية الكاملة التى تحصنه من الأمراض المختلفة وتجعل مقاومتها عالية فيستطيع المسلم أن يتفرغ لعمارة أنواع المناعة .

الأرض وتحقيق وظيفته فيها : وإذا سار المسلم على هذا المنهج اكتسب المناعة الطبيعية التي يعنى بها علماء الطب البشري في عصرنا الحاضر فهم يهتمون بالعناية بالناحية التكوينية بمعنى أن يكون الجسم في أعلى درجات الكفاية في تعاونه الأمراض المختلفة وذلك يكون عن طريق العناية بالطعام المتكامل من ناحية وبالنظافة الشخصية من ناحية أخرى . وبالبعد عن كل ما يؤثر في الجسم تأثيرًا سلبيًا من ناحية ثالثة أما المناعة المكتسبة فمعناها أن يكون الجسم قادرًا على المقاومة للأمراض نتيجة لوجود مواد مضادة في الجسم وهي تعطى في أيام انتشار مرض من الأمراض المعدية كالحمى الشوكية المخية .

وإذا ما ضعف الجسم لسبب ما فإن الأطباء يعالجون هذا الضعف بالأدوية ـ وإن كان للأدوية الكثيرة آثار سلبية على الجسم جعلت الدكتور هولمز الطبيب الانجليزي المشهور يقول في إحدى محاضراته (لو أننا ألقينا ما معنا من العقاقير الطبية إلى قاع البحر لتحسنت صحة الإنسان كثيرًا ولساءت صحة الأسماك .

الجانب النفسي: وللجانب النفسي آثار كبيرة على صحة الإنسان الجسمية لأن الإنسان كل لا يتجزأ وكل جانب من جوانبه يؤثر على الجوانب الأخرى .

والإسلام عنى بهذه الناحية عناية كاملة فجعل المجتمع الإسلامي مجتمع الأخوة والحب والتعاطف والتعاون على البر والتقوى لا على الأثم والعدوان ودعا إلى التسامح والإيثار والإحسان ويربى ابناءه على البعد عن الحقد والكراهية والحسد حتى يستطيع الفرد أن يعيش هادئ النفس مستريح القلب حتى يستطيع المجتمع أن يؤدى وظيفته في هذه الحياة التى تتمثل في قوله تعالى ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (آل عمران: ١١٠) .

وقد أثبت العلم الحديث أن لهذا كله تأثيرًا كبيرًا على جسم الإنسان فهو يرفع ضغط الدم ويحدث جفافا واضطرابات كثيرة خطيرة في الغدد الصماء ـ كما يحدث عسرًا دائمًا في الهضم والإمتصاص والتمثيل الغذائي وأرقا وشرددًا .

والإسلام يربى ابناءه على الأمل ويبعدهم عن اليأس ـ لأن اليأس يؤدى انقباض الكرتوزون في الدم والغضب يؤدى إلى ارتفاع الادريتالين والرزكسين في الدم بنسبة كبيرة وذلك كله يؤدى إلى فرحة المعدة والسكر وتقلص القولون وأمراض الغدد الدرقية والذبحة ـ وهي أمراض لا علاج لها إلا المحبة والتفاؤل التسامح ومن هنا يقول النبي ﷺ «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» ويقول «لاتحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا » .

فعل الخير: فعل الخير أسس من أسس التربية الإسلامية فالمسلم يطالب بعبادة الله وحده لاشريك له ويطالب ايضا بفعل الخير وذلك طريق الفلاح يقول الله تعالى **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (الحج :٧٧) .

وقد توصل أطباء في جامعة ميل يتوهن إلى أن أفعال الخير تفييد نظام المناعة في الجسم لأن الذهن ونظام المناعة مترابطان على نحو دقيق ـ فهناك مسارب عصبية تربط الذهن بالجسم وتمنح الفطام والطحال اللذان يفرزان الخلايا الضرورية لمكافحة الأمراض السارية .

وقد عكف الطبيب جايمس هاوس وزملاؤه في مركز الدراسات الاستطلاعية في أن آربور التابعة لجامعة بيتس على دراسة حالات ثلاثة آلاف شخص طوال ١٤ عامًا وخلصوا إلى النتيجة الآتية :

التوافق النفسي والاجتماعي يمد في الأعمار وبخاصة في الرجال .

ونسبة الذين ليس لديهم توافق نفسي في الموت تزيد بنسبة ٢٥٠٪ عن الذين لهم توافق اجتماعي ونفسي .

دع القلق: ديل كارنيجي أستاذ الصحة النفسية في أمريكا له كتاب عنوانه: «دع

القلق وابدأ الحياة» .

يقول في هذا الكتاب أن هناك أربعة أسباب شائعة تتسبب في التهاب المفاصل وسقوط الأسنان لأنها تؤثر في توزيع الكالسيوم على أجزاء الجسم وهي انهيار الزواج، الكوارث المادية والحزن، الوحدة والقلق، الحقد .

ويقول إنه في الحرب العالمية الثانية مات مليون جندي بسبب القلق والتوتر الشديد كما يقول : إن القلق قد يؤدى إلى أمراض منها السكر والضغط وتصلب الشرايين وقد يصل بالإنسان إلى الموت .

ويحكي قصة عن امرأة كبيرة في السن كانت تعيش مع ابنتها وزوجها ثم احتاجت إلى عمل عملية بالمستشفى وبعد رجوعها قالت لها ابنتها إن زوجها لا يرغب في وجودها في البيت معهم واقترحت عليها أن تذهب بها إلى بيت المسنين . وقلقت السيدة من ذلك وما لبثت أن ماتت ويقول ديل كارنيجي لو وضعت أملها في الله ما ماتت .

الإسلام: ولذلك فإن الإسلام طلب من المسلم أن تكون صلته بالله تعالى دائما قوية فذلك يعطيه المناعة النفسية الكاملة التى تفيد في المناعة الجسمية والمناعة الفكرية وتجعل المسلم سويًا في حياته سويًا في عواطفه سويا في سلوكه سويا مع نفسه سويا مع مجتمعه ولذلك فقد أوصى النبي ﷺ عبد الله بن عباس وقد أردفه خلفه وهو صبي بدوام صلته بالله تعالى «ياغلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» .

والإنسان إذا أصابته مصيبة فإن الإسلام يطلب منه الصبر والصابرون يؤفون أجرهم بغير حساب فذلك نوع من الابتلاء الذي يقوى المناعة في الإنسان وإلى جانب ذلك فإن هذه المصيبة قد يكون فيها الخير وإن كان لا يعلم وفي ذلك يقول الله تعالى **﴿وعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة:٢١٦) .

وبهذا يستريح قلب الإنسان فلا يصبح موضع قلق لأنه يحس بأن ما أصابه من شر هو خير بالنسبة له وإن كان لا يعلم وجه الخير فيه .

وتطلع الإنسان إلى ما في يد غيره وتطلعه إلى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعل الإنسان دائم الضيق والألم وقد يدفعه إلى الإنحراف حتى يصل إلى ما وصل إليه غيره والقرآن الكريم يبصر المسلم بالطريق السليم فيقول ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (النساء:٣٢) فإن أراد شيئا فليسأل الله من فضله وليطلب من الله ألا يجعل في قلبه غلا لأحد ويريح الإسلام المسلم بأن يبين له أن حاجاته الضرورية تتلخص في قوله ﷺ «من بات آمنا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومن فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» الترمذي .

وظيفة المجتمع الإسلامي : إن المجتمع الإسلامي له وظيفة رائعة في الحياة لايستطيع أن يقوم بها غيره وقد حمل المسلمون راية القرآن في الماضى وقادو البشرية القيادة السليمة ووجهوها إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وذلك بعد أن تربوا التربية الكاملة التى اعطتهم المناعة الكاملة ضد كل شيء كما أعطتهم القوة على أن يؤدوا وظيفتهم وبذلك أنهوا عهود الظلمات التى عانت فيها البشرية الكثير من المتاعب الجسمية والنفسية والفعلية ونحن الآن في حاجة إلى مثل هذه التربية الكاملة المتكاملة التى تعطينا كل أنواع المناعة وبذلك تؤدى وظيفتنا .

وبذلك نحقق للإنسانية ما تصبو إليه من حضارة ومدنية وثقافة .

في ظل الإخاء الإنساني والمودة والتراحم والتعاطف والتعاون على الخير .

المناعة الفكرية : تعبير يقصد به الحصانة الفكرية التى تجعل المسلم يستعلى بالمفاهيم الاسلامية النابعة من الكتاب والسنة على كل الفلسفات البشرية. فلا يتأثر بها المسلم حتى وإن بدت براقة حتى وإن ساندها التقدم العلمي والتقنى .

والإنسان الذي يؤمن بالله تعالى عن فهم واقتناع، تكون عنده المناعة الفكرية، فلا يغير من أفكاره شيئًا ـ حتى وإن ناله ما ناله من عنت وإرهاق نتيجة لتمسكه بما يؤمن به .

ولذلك فإن المبدأ الأساسي في الإسلام يكون في الاقتناع .

فالإسلام يرفض أن يكون الدخول فيه عن غير هذا الطريق والقرآن الكريم يقول في ذلك : ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة :٢٥٦) .

وقال رب العزة لنبيه ﷺ الذي حمل هم من لم يؤمن برسالته من أمته لأنهم سيدخلون جهنم : ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٣) .

وفي آية أخرى قال:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦)

والدعوة في الإسلام تكون بالإقناع والمناقشة الهادئة والمجادلة بالتى هي أحسن :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل : ١٢٥)

وقد ربى النبي ﷺ أصحابه تربية كاملة على المبادئ الإسلامية وعلى الفهم والإقناع، ولذلك فإنهم تحملوا في سبيل دعوتهم مالا يتحمله بشر في أحوالهم العادية - فلقد وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم في دينهم، وكان بلال الحبشي يلقى على الرمل تحت الشمس المحرقة، ويوضع الحجر على صدره ويترك ليموت ولم يزد على أن يقول: « أحد أحد» .

ومات ياسر وزوجه سمية من التعذيب .

وهكذا كان المسلمون في الصدر الأول يعانون ما يعانون، ولم يزدهم ذلك إلا تمسكًا بدينهم، بل إنهم كانوا يبتهجون بالأذى والتضحية إيثارًا لما عند الله من ثواب عظيم .

وهدف التربية الفكرية في الإسلام تحرير الإنسان من عبودية الأصنام بكل أنواعها

ومن عبودية الشهوات، ومن العبودية للجبارين، وتحقيق مجتمع الإسلام القائم على العدل والحرية والسلام والأخوة والحب، وذلك يكون عن طريق العبودية لله وحده، وتحرير وجدان المسلم من عبادة غير الله ومن عبادة القيم الاجتماعية كالجاه والمال والحسب.

وهذا هو أساس السلوك الناجح الذي ينبع عن النفس البشرية التى تقتنع اقتناعًا كاملاً، فيحدث ذلك آثاره في الفرد وفي المجتمع على السواء.

وبذلك يجد المسلم نفسه مدفوعًا إلى السير في الطريق الذي رسمه له الإسلام، ليحقق وظيفته في هذه الحياة، وبذلك يتعامل المسلم مع كل ما في الكون على أساس من الإحسان في القول وفي العمل، لأنه يعبد الله كأنه يراه .

والمناعة الفكرية تجعل الإنسان صامدًا أمام المظاهر المادية البراقة فلا تنال شيئًا من إعجابه، ولا يتأثر بها تفكيره، لقد دخل ربعى بن عامر رسول سعد بن أبى وقاص على رستم قائد الجيوش الفارسية وقد زينوا له مجلسه بالتمارق والزرابي والحرير واللالىء الثمينة، وعليه تاج وهو جالس على سرير من الذهب.

دخل ربعي بثياب ضعيفة وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض الوسائد، وأقبل على رستم وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا له: «ضع سلاحك» فقال: إنى جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: «ائذنوا له» فأقبل متوكئًا على رمحه فوق التمارق فخرق عامتها، فقال له رستم : «ما جاء بكم»؟

فقال: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

والمناعة الفكرية تعطى المسلم الثبات أمام الشدائد، ومن ذلك الخنساء التى جعلت شعرها في الجاهلية قائمًا على رثاء أخيها صخر، ومما قالته فيه :

يذكرني طلوع الشمس صخرا   وأذكره لكل مغيب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي   على إخوانهم لقتلت نفسي

فلما أسلمت واشتركت مع أبنائها الأربعة في الجهاد في سبيل الله ، وقالت لهم قبل بدء المعركة تحضهم على القتال :

يابني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين. والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة. ماخنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية والله تعالى يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠) .

فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستنصرين بالله على أعدائكم وإذا رأيتم الحرب شمرت عن ساعدها واضطرمت فتيموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغفران والكرامة في دار الخلد والمقامة» .

واشترك أبناؤها الأربعة بهذه الروح العالية وعندما بلغها نبأ استشهادهم جميعًا قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا الله تعالى أن يجمعني بهم في مستقر رحمته» .

فقدان المناعة

والتربية الإسلامية: تجعل كل مسلم يحس بأخوته للمسلمين جميعًا، فأفراد المجتمع الإسلامي كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر. ولذلك فإنهم يتناصحون ويتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويرون كما رباهم الإسلام أن المال مال الله وأنهم مستخلفون فيه فهم يكتسبون من حلال، وينفقون فيما يعود على المجتمع الإسلامي بالفائدة. وهم يبتغون في ذلك رضوان الله في الدنيا والآخرة .

والتربية الفكرية الإسلامية: قامت على أساس التهوين من أمر الدنيا وما فيها، لأن الحياة فيها محدودة، وما هي إلا لعب ولهو وزينة حين لا يكون وراءها غاية أكرم وأبقى حين تقاعس لذاتها مقطوعة عن منهج الخالق سبحانه وتعالى ، فذلك المنهج هو الذي يستحق الدار الباقية : ﴿**وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ**﴾ (محمد :٣٦)

وفي العصر الحاضر فقد المسلمون المناعة الفكرية - لأنهم لم يتربوا تربية إسلامية كاملة متكاملة، ونتج عن ذلك عدم وضوح الرؤية عند المسلمين والسير في اتجاهات غير واضحة، مما سبب الاضطراب في كل شئ، إلى جانب انعدام الحرية وروح الرجولة والإحساس بالمسئولية، وأصبح الذاهب إلى موسكو يعود بفكر ماركسي حين كان للشيوعية قوتها، و الذاهب إلى واشنطن يعود بفكر انحلالي تبشيري.

ومعنى ذلك أن المسلم يعود إلى بلاده فاقدًا لهويته مروجًا للأفكار الغربية عنه، لأنه قبل أن يذهب إلى هناك لم يكن عنده المناعة الفكرية التى تجعله في أمن وأمان من الوقوع في براثن المبشرن والمستشرقين وغيرهم .

وظهرت في المجتمعات الإسلامية العقلية المادية التى أوجت في الناس حب الذات الذي جعل كل فرد من أفرادها يهيء لنفسه ما يستطيع من أسباب الترف والرفاهية وأصبح الفرد لايهمه أبوه أو أخوه أو حتى ولده وزوجه، وقد أحدث الأغنياء والمترفون طرقًا لا تحصى ولا تعد للاقتناء والترفيه أو للمظهرية ، وأصبح الإنسان يشترى الآلات الموسيقية ولو لم يكن عنده ذوق موسيقى، ويكون مكتبة ضخمة مع أنه لا يقرأ منها شيئا، وكثيرًا ما يشترى الأشياء لامتلاكها - لا - لاستخدامها .

وأصبح الإنسان يحاول أن يشبع الوهم - كحب التظاهر الذي يبعد الإنسان عن كل علاقة صحيحة بحاجاته الحقيقية، وبذلك أصبح الاستهلاك هدفًا لذاته لا للاحتياج ولا للسعادة وأصبح الناس يظنون أنهم لايستطيعون الحياة بدون ذلك .

تحدث طالب إلى أستاذه في الجامعة القطرية عن حياته، وقال: إنه لايستطيع أن يعيش بدون جهاز لتكييف الهواء سواء أكان في البيت أم في السيارة ، فقال له: أنت

شاب عربي ومسلم وتفخر بذلك، ترى كيف تستطيع أن تؤدى وظيفتك في الحياة وأنت على هذا القدر من الرفاهية وعدم تحمل المسئولية وعدم تحمل مشقات الحياة ، بينما المنصرون يأتون من أوربا ويعيشون في أدغال أفريقيا وحرها ليؤدوا وظيفتهم الدينية، واليهود يعيشون في صحراء سيناء متحملين كل شئ في سبيل باطلهم - وطلبت منه أن يعيد صياغة نفسه طبقًا لمنهج الإسلام ووظيفته المسلم في هذه الحياة.

ولفقدان المناعة الفكرية حدث تغيير كبير في المفاهيم، ومن ذلك مفهوم الحرية الذي جعل المرأة تخرج إلى العمل وتختلط انتباه الرجال، ودخل هذا المفهوم إلى سيكلوجية المرأة إلى درجة أن أدوات الزينة والملابس النسائية زادت في ايران في أيام الشاه - إلى خمسة آلاف ضعف خلال عشر سنوان فقط .

وبذلك أصبحت المرأة لا ترغب في الحياة الفطرية، ولا تهتم بشؤون البيت، لأن من رقة العقل في المفهوم الجديد لحرية المرأة أن تحتفظ برشاقتها وأناقتها وجمالها، لتلفت الأنظار إليها، ولذلك فإنها أصبحت لاترغب في الحمل ولا في رضاعة الأطفال ولا في مسؤولية البيت.

وبذلك أساءت المرأة إلى نفسها وأساء إليها الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمون أنهم أنصارها ، فلقد كانت ريحانة تشم فأصبحت مشكلة تتطلب الحل وكانت عرضًا يصان فأصبحت حملاً ثقيلاً يضيق به الأب والأخ .

ولعدم وجود المناعة الفكرية في العالم الإسلامي استطاع الغرب أن يخترق عقولنا وأن يغير أفكارنا واتجاهاتنا .

ومن ذلك أننا أصبحنا نسكن في بيوت مبنية بالأسمنت على الطراز الغربي، مع أن هذا النمط غير مناسب للبيئة، وأصبحنا نأكل ونلبس على الطريقة الغربية كما أصبحنا نستورد أنواع الأدوية وأدوات الاستهلاك من الغرب والمصانع المحلية تقام وفق أنماط غربية .

والأخطر من ذلك: نظم التعليم بما فيها من خلفياتها الثقافية واتجاهاتها المضادة لاتجاهات الإسلام ومفاهيمه كما أن الاتجاه أصبح إلى العناية بالمادة، وأصبحت الثروات في كثير من الأحيان لاتعتمد على أصول شرعية، ولاتتقيد بضوابط الحلال

والحرام وقد لفت هذا نظر بعض المفكرين المسلمين فقال:

(ما أخذته منا الحضارة الغربية أثمن وأغلى مما أعطتنا، وبخاصة نحن سكان العالم الثالث لقد أعطتنا التكنولوجيا المتطورة التى لم نسعد بصنعها، وأخذت منا صفاء النفس والبساطة والقناعة وعزة النفس والكرامة ـ وذلك لايقدر بثمن » .

وظهرت التحريفات :

في الحياة الإسلامية منها: فصل الدين عن الدولة، وقلة الاحتفال بالعلوم العملية والتقنية، وطغت المادة، وضعفت الحاسة الدينية نتيجة الاحتكاك الفكري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي بالغرب. وأصبحت كل دويلة لاتهتم إلا بنفسها .

وبذلك أصبح العالم الإسلامي هدفًا لأعدائه الذين أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم.

وبعد أن وصلنا إلى هذه الدرجة في كل نواحي الحياة أصبحنا في حاجة إلى أن نعود إلى التربية الإسلامية الكاملة المتكاملة التى تعطى للمجتمع الإسلامي المناعة الفكرية التي تجعله قادرًا على أن يؤدى وظيفته، ويحقق رسالته .

بذلك نعود إلى صلتنا بالله تعالى، ونزيل كل الحواجز النفسية والفكرية، ونعيش في سعادة وراحة وأمن واطمئنان ، ونحقق معنى الآية الكريمة :

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)

وبذلك نستطيع أن نقوم بدورنا في المجتمعات البشرية فندعوهم إلى الله تعالى على بصيرة ، فإذا كنا قدوة في ذلك ـ استجابوا لنا وساروا معنا وتحقق لنا ما نصبو إليه في هذه الحياة في الدار الآخرة لأننا في ذلك الوقت نكون محققين لقوله تعالى :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

المناعة النفسية:

المناعة النفسية تعبير يقصد به الحصانة النفسية التى تجعل المسلم يستعلى على كل قيم الحياة ومفاهيمها وكل اتجاهاتها وأفكارها. ذلك لأن المسلم يؤمن بخالقه ولايعبد غيره ولايستمد قيمه واتجاهاته إلا من القرآن الكريم والسنة، وهو بذلك يقاوم كل التحديات والفلسفات البشرية التى تفتن كل إنسان غير متحصن بالمناعة النفسية .

والنفس هي الطاقة التى يتصل الإنسان بها بالغيب المحجوب عن الحواس ووظيفتها الاتصال بالله تعالى فهي قبس من الله عز وجل، وطاقة النفس لذلك أكبر طاقات الإنسان التى تؤثر في سلوك الفرد وفي سلوك المجتمع .

ولذلك فقد عنى الإنسان بتربيتها بطريقة فريدة وذلك بعقد الصلة الدائمة القوية بالنفس وخالقها بحيث تكون هذه الصلة موجودة في كل لحظة وفي كل عمل من الأعمال التى يقوم بها الإنسان في حدود طاقاته وإمكاناته:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن:١٦)

وهذه الصلة تقتضي أن يكون العمل خالصًا لله تعالى، والله سبحانه وتعالى لا يقبله إلا إذا كان كذلك، وهو بذلك يرفع من الضعف البشري للإنسان فيحميه من الانحدار إلى مصاف الحيوان.

وقد حمل المسلمون القرآن الكريم لقيادة البشرية القيادة السليمة، وتوجيهها إلى ما فيه سعادتها في الدنيا والآخرة، وإنهاء عصور الظلمات التى عانت منها البشرية وإعطائهم المناعة الكاملة حتى يمكنهم أن يؤدوا وظيفتهم في هذه الحياة، وبذلك يتحقق للإنسانية ماتصبوا إليه من حضارة في ظل الإخاء الإنساني والمودة والتراحم والتعاطف والتعاون على خير البشرية .

والمسلمون الذين رباهم رسول الله ﷺ كان عندهم المناعة النفسية الكاملة التى جعلتهم يسيرون على المنهج السليم والرضا الكامل في الحياة بصورة لم تشهدها البشرية في تاريخها القديم والحديث على السواء.

مظاهر المناعة النفسية:

كانت العصبية القبلية من أظهر صفات الجاهلية وفي ذلك يقول شاعرهم مادحًا قبيلة مازن التى تتحقق فيها هذه الصفة :

قوم إذا الشر أبدى ناجزيه لهم　　طـــارو إليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم　　في النائبات على ما قال يندبهم

فلما دخلوا الإسلام واكتسبوا المناعة النفسية وقال لهم رسول الله ﷺ «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» تعجبوا وقالوا له: يارسول الله ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: « أن تأخذوا على يده فذلك نصره ظالمًا» متفق عليه .

وبهذا تحررت الروح من الغضب وتحررت إرادة الإنسان من الروابط التى طالما ربطتها بإرادة الآخرين.

والخنساء شاعرة مشهورة في الجاهلية أوقفت شعرها على أخيها صخرًا الذي مات، ومن شعرها فيه :

وإن صخـــرا لتأتم الهداة به　　كأنه علـم في رأســـه نار

وإن صخـــرا لهادينا وسيدنا　　وإن صخرا إذا نشكو لتبار

فلما دخلت الإسلام وتربت التربية الكاملة أعطاها الإيمان المناعة النفسية الكاملة؛ فقد ذهبت مع أبنائها الأربعة في معركة القادسية وهناك شجعتهم على القتال في سبيل الله، وحينما جاءها نبأ شجعتهم جميعًا في هذه المعركة قالت في راحة نفسية وأمن قلبي. «الحمد الله الذي شرفنى بقتلهم وأرجو الله تعالى أن يجمعنى بهم في مستقر رحمته» .

ومن المناعة النفسية ما يحكيه التاريخ الإسلامي من أن امرأة من الأنصار استشهد أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد وجاءت تسأل ما فعل رسول الله ؟ قالوا خيرًا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى انظر إليه فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل (هينة) .

وبلال بن رباح رضى الله عنه حين حضرته الوفاة صرخت امرأته وقالت واكرباه

فقال له: بل واطرباه غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه .

ومن المناعة النفسية الثبات أمام المطامع والشهوات؛ ففي معركة القادسية جاء جندى بحق إلى صاحب الأقباض ـ يقدم مالاً ـ فتجبوا لأنهم لم يروا مثله من قبل ، وحين أرادوا ان يعرفوا اسمه رفض وقال: والله لولا الله ما جئتكم به ولا أذكر لكم اسمي فتحمدوني.

ويحدثنا التاريخ الإسلامي عن الجندى الذي نقب حصنًا من حصون الروم مكن الجيش من الدخول فيه وبذلك استولى المسلمون على الحصن بقيادة مسلمة بن عبد الملك، وبحث مسلمة عن الجندى الذي نقب النقب فلم يجده. لقد اختفى لأنه كان يريد بعمله وجه الله وكان مسلمة يقول: اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

المناعة من الخوف :

وما أكثر الأشياء التى تجعل الإنسان يخاف في هذه الحياة. والإيمان القوى يجعل الإنسان في مناعة كاملة تحت أي ظرف وفي أي مكان، والقدوة في ذلك رسول الله ﷺ ، فقد أحاط المشركون بغار ثور إحاطة السوار بالمعصم، وأخذوا يبحثون ويفتشون حتى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا» فقال له رسول الله ﷺ : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ » .

وهذه الإجابة تبين قمة المناعة النفسية وهو القدوة الحسنة، وقد طلب من كل من خاف من شيء، ان يدعو ربه قائلاً: «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والخوف وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر. لا إله إلا أنت» وبذلك يستعيد الإنسان مناعته الكاملة التى تقيه من الحيرة والقلق .

ومن القصص المعروفة في التاريخ الإسلامي أن رجلاً كان مارًا في الطريق فرأى رجلاً مقعدًا يجلس في الطريق وهو أعمى وملابسه مهلهلة، ومع ذلك كان يذكر الله ، فقال له الرجل: على أي شيء ، تذكر الله ولم يترك لك ما تذكره عليه؟ فقال له: اغرب عنى أيها الجاهل: لقد ألقى لي لسانًا يذكره وقلبًا يشكره.

والمسلم يرى نفسه مدفوعًا إلى السير في الطريق الذي رسمه الإسلام له والقائم على تحقيق منهج الله في الأرض ولا ينتظر الجزاء في الدنيا بل في الآخرة، والقرآن يقول في ذلك :

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)

والمسلم إذا رأى شيئًا لا يريحه استعان بالصلاة والدعاء والصبر.

وفي الوقت نفسه يؤمن بأن ما حدث له قد يكون فيه الخير له، والقرآن الكريم يقول في ذلك :

﴿وعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦)

وحتى الزوجة لو كرهها زوجها فإن ذلك قد يكون فيه الخير الكثير له.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)

والإنسان إذا فقد الإيمان الصحيح فإنه يكون في قلق وحيرة وخوف، وسواء أصابه الخير أو الشر فهو كالريشة في مهب الريح، وتوضح ذلك الآية الكريمة :

﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وإِذَا مَسَّه الخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ١٩، ٢٠، ٢١)

فقد أصبح لفقده المناعة النفسية جزوعًا ، إذا مسه الشر يجزع لوقعه، ويظن أنه دائم. وإذا مسه الخير منعه عن غيره، وبذلك يصبح أسيرًا لما ملكه، فالمؤمن بإيمانه يأوى إلى ركن ركين يشد منه عزمه، ويعلق به رجاءه وبذلك يعيش في أمن وطمأنينة وعافية سواء أصابه الخير أم أصابه الشر .

الحياة في الرضوان :

والمناعة النفسية تجعل الإنسان هادئ النفس مطمئن القلب راض عن نفسه وعن ربه

وعن الحياة وعن الكون :

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨)

والمؤمن يشعر دائمًا بالرضا الكامل، وفي ذلك يقول النبي ﷺ «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» . مسلم.

وهذا يجعل المسلم يعيش في رضوان الله الكامل لأنه يسارع إلى الخيرات، ويدعو ربه خوفًا وطمعًا ، وينفق في الخير مما رزقه الله، وكل ذلك في ميزان حسناته .

ومن لطيف ما يذكر أن أطباء الأدوية في جامعة «ميل ليوهن» توصلوا في أبحاثهم إلى أن أفعال الخير تفيد في نظام المناعة في الجسم ؛ وتمنح العظام والطحال اللذين يفرزان الخلايا الضرورية والمواد اللازمة لمكافحة الأمراض السارية .

والمناعة النفسية تجعل الإنسان عنده القدرة على أن يتحمل مالا يتحمله غيره، وتثبت معاني الحب والأخوة والتعاون في المجتمع، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)

والمجتمع الذي يحب الله ، والذي تشيع فيه السماحة واليسر والحب والإخاء هو والقادر على أن يؤدى وظيفته في هذه الحياة .

نعم قد يضعف الإنسان في لحظة ما ، ولكنه سرعان ما يلجأ إلى ربه يطلب منه العون والعفو؛ لأنه ممسك بالعروة الوثقى الصلة بالله ، فإذا عثر فهو واصل والحبل بيده ما دام يذكر الله ولاينساه، ويستغفره ويقر بعبوديته له، ولا يتبجح بالمعصية .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ١٣٥)

وبذلك يستعيد الإنسان مناعته النفسية الكاملة فإن خالقه قد فتح له الباب على مصراعيه .

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة : ١٨٦) .

وهكذا يمكن للمسلمين أن يعيشوا سعداء في مجتمع سعيد كما يستطيعون أن يؤدوا وظيفتهم في عمارة الأرض فيمكن الله لهم فيها، وبذلك يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر و لله عاقبة الأمور .

التفكير السليم :

كيف يرى المسلمون اليوم النوائب المحيطة بهم؟ المسلمون اليوم يتحدثون دائمًا عن المصائب التى تحدث لهم وتهدد كيانهم بأنها عبارة عن مؤامرات ضد المسلمين وإذا سأل سائل ومن الذي يقوم بهذه المؤمرات؟ كانت الاجابة: البيت الأبيض أو البيت الأحمر أو غير ذلك أو عملاء وقلما نجد من يقول: إن هذه المصائب من أمر ا لله تعالى: وهذه الفكرة أضلت الجماعات الإسلامية حيث اعتبروا أن ما يحدث لهم ليس (أمرًا إلهيًا) يؤدبهم الله تعالى به بل مجرد حدث من الأحداث الإنسانية العادية .

ولكن الحقيقة أن التاريخ يعيد نفسه ـ لأن الخطيئة التى اقترفها ابن نوح عليه السلام في قصة الطوفان يقترفها المسلمون في هذا الزمان.

ولو أن المسلمين اعتبروا هذا الوضع القاسي المرير الذي يعيشونه على امتداد الدنيا بأجمعها أمرًا إلهيًا لرجعوا إلى الله تعالى ولأنابوا ولنشأت فيهم فكرة إصلاح النفس وتزكية القلب وتنمية العقل .

ولأصبحت همتهم موجهة إلى اصلاح تعاملهم مع ا لله تعالى على ضوء منهج الإسلام ولكنهم اعتبروه تآمرا انسانيًا ودسيسة من الدسائس وبذلك ثارت ثائرتهم ضد الأمم الاخرى. وتولدت فيهم عوامل الثأر والحقد والنقمة .

وهذه حالة المسلمين في العالم اليوم: إن الإنسان المسلم يؤمن بأن ا لله سبحانه وتعالى قادر و بأن قدرته مطلقة ـ فإذا حسب أن النكبة التى ألمت به إنما هي من عند الله تعالى بسبب تقصيره في حق الله تعالى وفي بعده عن منهج الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ فسوف تنمو فيه نفسية التضرع إلى الله تعالى وتحرر وجدانه من الداخل عن

كل ماعدا الله تعالى نعم إن لجميع حاملي الكتب السماوية قانونًا إلهيًا خاصًا موجزه:
(إن الفساد عندما يسرى في المجتمعات فإن الله تعالى ينزل عليهم المصائب والعقوبات العاجلة ليتنبهوا وليصلحوا ما بأنفسهم) .

فاليهود الذين حملوا دينا نالوا عقوبات شديدة في تاريخهم بما كسبت أيديهم وبما صنعوا من فساد ـ ولم ينزل الله تعالى الملائكة على الأرض لمعاقبة اليهود ـ بل سلط عليهم ناسا قتلوا منهم عشرات الآلاف في فلسطين وأجلوا منها وحل محلهم أمم أخرى ـ وقد حدث ذلك أكثر من مرة .

وقد اعتاد اليهود في تاريخهم نسبة هذه الاحداث إلى الأعداء ـ وكان عليهم أن يعرفوا أن ما حدث لهم عقوبة من الله تعالى لهم ـ وقد تولدت فيهم ـ تبعًا لهذا الفهم ـ روح الدسائس والمؤامرات ـ كما تولدت فيهم روح الغفلة ونفسية التمرد ـ ولو أدرك اليهود أن هذه العقوبات هي من عند الله تعالى لنشأت فيهم روح العبادة والتوبة والرجوع إلى الله تعالى ـ لأن الله تعالى لا يبعث عقوبات بالملائكة ـ بل ينفذ العقوبات بوساطة البشر لكي يتنبه العقلاء ويصلحوا شؤونهم .

وفي العصر الحديث أصبح المسلمون يوجهون التهم واللوم إلى غيرهم فنشأت فيهم فكرة سلبية لا تمت إلى الحقيقة بصلة ـ ولم تتولد فيهم عقلية عليها جهود بحدية وأصبحوا لا يردون خطأهم في أمر من الأمور إلى أنفسهم بل يوجهون التهم إلى غيرهم ونتج عن ذلك .

أن فكرتهم الدينية أصبحت موجهة إلى السياسة فقط .

وبذلك أصبح المسلمون بلا شخصية لأن الشخصية الحقيقية تتولد من الشعور بالمسئولية وأصبح المسلمون لايشعرون بأية مسؤولية ولا يدركون أي واجب وحسبهم أن يطالبوا بالحقوق، ولذلك فقد أصبح منهج المسلمين في هذا الزمان قوميًا بدلاً من أن يكون نابعًا من مبدأ وحدة المسلمين.. أن الخسارة الفادحة التى تنتج عن هذه الفكرة الخاطئة هي :

(إن المسلمين تخلوا عن فكرة الدعوة ـ والدعوة هي مقصد وجودهم على هذه

الأرض) فالمسلم الذي يدعو الناس إلى دين الرحمة والهداية يحترق قلبه ويتفجر شفقة ورحمة بهم ولكن حين اصطلح المسلمون على فكرة المؤامرات والدسائس ـ تكونت منهم نفسية موجهة ضد الآخرين .. إنها نفسية الكراهية والحقد ـ وإذا كان هذا حالهم فكيف يمكن أن يقوموا بالدعوة بإخلاص وجدية ؟ نعم كيف يمكن للقلب الحاقد أن ينشر الحب وللعقل المظلم أن ينشر النور؟ هكذا يقول وحيد الدين خان ويستمر الداعية الاسلامي الهندى الكبير وحيد الدين خان في الحديث عن التفكير السليم في كتابه «قضية البعث الإسلامي» فيقول : (إن الذي يعتبر الآخرين خصوما له يغدو منهجه قوميا وإن هذا الوضع قد يفضى إلى الاقتتال والتخاصم بين المسلمين ـ لأن المسلمين عندما لا يقدرون على منازلة شعوب أخرى عسكريًا ـ فإنهم يتخاصمون فيما بينهم إطفاء لنار العداوة في قلوبهم وإرواء لنزعة الصراع والمخاصمة في صدورهم.. وما نراه الآن على ساحة العالم الإسلامي يوضح ذلك وضوحًا تامًا .

ترى هل آن الأوان لنبدأ في التفكير المنطقى السليم الذي يخرجنا من الحيرة القاتلة التي تعيش فيها فنعود إلى ربنا وإلى ديننا ونعرف سنن الله تعالى في الكون وندرك توجيهات القرآن الكريم فنصلح أنفسنا ونصلح هذا العالم الحائر؟

والقرآن الكريم يقولها لنا واضحة صريحة **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين﴾** ويطلب من المسلمين أن لايهنوا ولا يحزنوا إذا ما أصيبوا بهزيمة بسبب ما من الاسباب فإنهم الأعلون دائمًا إذا كانوا مؤمنين فهذه الاختبارات تبين الذين آمنوا بربهم حقًا من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم ويتخذ من المؤمنين شهداء والله لايحب الظالمين .

ومن زاوية أخرى فإن هذه المصائب تمحص الذين آمنوا وتبين الكافرين والحاقدين والمنافقين والذين لايهمهم إلا الكسب المادي والكسب الأدبي وإن كانوا يقولون غير ذلك مع أن الله تعالى يعلم السر وأخفى .

وأخيرًا فإن المسلمين عليهم أن يتدبروا قول الله تعالى : **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (الأنعام :١٦٥) .

المسـؤولية: صفة تلازم صاحبهـا في فترة ممتدة ذات طرفين بدايـة ونهاية، تبدأ حين يطالب الواجب الإنسان وتنتهي بعد أن يقدم حسابه عما صنعه .

والشعور بالمسؤولية شعور نبيل شعور بالكرامة التى كرم الله تعالى بها بني آدم وبالفضل الذي فضلهم به على كثير من خلقه .

والإنسان في تصرفاته الاختيارية ومسؤوليته مشتقة من سيادته في الأرض فقد اختاره الله تعالى خليفة في الأرض فمكنه منها واستعمره فيها وهو مسؤول بموجب هذه السيادة أن يؤدى حقها .

والمسؤولية لها مرحلتان، مرحلة قبل القيام بالعمل ومرحلة بعد القيام بالعمل .

المسؤولية قبل العمل :

تنظر إلى المستقبل فهي مسؤولية تكليف ومطالبة ـ فهي نوع من أنواع الكرامة التى أكرم الله تعالى بها الإنسان وفضله بها على كثير من المخلوقات لأن الله سبحانه وتعالى حين جعل الإنسان خليفة في الأرض أعطاه وسائل المعرفة ومكنه من التصرف في الأشياء وفي نفسه باستعمال قواه الظاهرة والباطنة فجعله صاحب مسؤولية وسلطان ونفوذ على قدر اتساع سلطة الإنسان وامتداد قدرته تكون مسؤولية وكذلك على قدر ضعفه وعجزه يكون إعفاؤه من المسؤوليات ولذلك نرى أن مسؤولية كل امرئ محدودة دائمًا بحدود سلطته وإمكاناته. ثم إن المجال الذي يكون فيه الإنسان مكرهًا منزوع السلطة يكون غير مسؤول .

المسؤولية بعد العمل :

تنظر إلى الماضى فهي مسؤولية محاسبة على ما فات وتتوجه هذه المسؤولية فيما سبقت مطالبته به ووكانت له قدرة على التصرف فيه باختياره .

ومراتب المسؤولية ودرجاتها تتفاوت تبعًا لاتساع مجال النشاط المطلوب من كل مسلم وعظم المصالح المنوطة بالمرء ورعايتها . يقول رسول الله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولية عن رعيتها ، والخادم راع

في مال سيده ومسؤول عن رعيته فكلكم راع ومسؤول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم رحمهما الله .

وإلى جانب هذه المسئولية العامة هناك مسؤولية خاصة شخصية فهو مسؤول عن جوارحه ومسؤول عن عقله وقلبه ومسؤول عن حياته وأوقاته وفي الحديث الشريف «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن شبابه فيم أبلاه» الترمذي رحمه الله .

يجازي على عمل غيره:

وهناك حالات يجازي فيها الإنسان على عمل غيره فالدال على الخير كفاعله والأمر بالسوء والفحشاء كذلك والقدوة والأسوة والعدوى لها تأثير في الثواب والعقاب فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجره شيئ ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزاره شيء، فالذي يروج شائعة كاذبة تكون عليه مسؤولية قول الزور ومسؤولية كل من رددها وهكذا ثم إن الساكت عن الحق شيطان أخرس .

مقاومة الشر في المجتمع :

الشريعة الإسلامية وضعت وسائل لمقاومة الشر في المجتمع على قدر الاستطاعة على النظام الآتي :

المقاومة باليد : وهذه مهمة رجال الأمن ومن توافرت فيهم وسائل النفوذ والسلطان.

المقاومة باللسان: وهذه مهمة الرجال الدعاة والمرشدين الذين يملكون أدوات التعليم والبيان .

التغيير بالقلب: وهذه مهمة العامة .

والتغيير بالقلب ليس معناه أن يكره المسلم الشر بقلبه ثم لا يبدو عليه أثر إيجابي لهذه الكراهية فهذا لا يسمى تغييرًا بل لعله إقرار سكوتي للمنكر، الأمر الذي يشجع صاحبه على الاستمرار في طريقه إن معنى التغيير بالقلب المقاومة السلبية الأدبية عند

العجز عن التغيير بالوسائل الإيجابية باليد أو اللسان .

وهذه المقاومة السلبية تشعر المسئ بأنه محروم من التكريم والاحترام الذي كان قد تعوده، وتشعره باستياء الآخرين من سلوكه ويشعر في النهاية بأنه في وحشة وعزلة بسبب هجران الآخرين له ومقاطعتهم إياه، وهذا يشعرنا بالمسؤولية عن الحقوق والآداب العامة .

وهذا التغيير بالقلب - بهذا المفهوم - يتطلب منا العزم والتصميم والشجاعة الأدبية في سبيل كرامة أمتنا وكرامة أنفسنا وفي ذلك راحة للضمير لأنه يخلصنا من تكاليف المدنية السطحية في الابتسام في وجه الصالح والطالح والتعاون مع المحسن والمسيء .

وهذا يحتاج إلى التعاون بين أفراد المجتمع فالعلاج الكامل لايكون إلا باتخاذ موقف اجتماعي موحد نحو المفسدين والمسيئين. فإذا لم نفعل ذلك فإننا آثمون، فالمطلوب التغيير بالقلب وليس الإنكار فقط .

«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» البخاري رحمه الله .

بنو إسرائيل:

لقد لعن الله تعالى بنى إسرائيل - لأنهم فقدوا الغيرة على حرمات الله وكانوا لايتناهون عن منكر فعلوه :

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ(٧٨)كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة : ٧٨ - ٧٩) .

المسؤولية الاجتماعية :

تقوم المسؤولية الاجتماعية على حماية الآداب ومنع الإجرام بطريقة إيجابية بإحدى الطرق الممكنة ؛ التغيير باليد أو باللسان أو القلب وتوضح الآية الكريمة الآتية هذا المعنى مبينة أثر المقصرين وموقف رب العزة منهم **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي**

﴿حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٤٠) .

والتعبير القرآني: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ .

جعل الساكت على الحق هو والكافر سواء والساكت على الاستهزاء هو المستهزيء سواء .. والذي يستمر في معاملته العادية للآثم على ما كان عليه فذلك هو النفاق بعينه والله سيجمع الكافرين والمنافقين في جهنم جميعا .

تقديم الحساب: الإسلام جعلنا أمام سلطة ثلاثية. سلطة الضمير وسلطة البشر وسلطة الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧) فقد جمعت هذه الآية الكريمة أنواع السلطات التى ستتولى المحاسبة ﴿لاَ تَخُونُوا اللَّهَ﴾ وهذه هي سلطة الله الدينية [والرسول] وهذه هي السلطة الاجتماعية ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ . وهذه هي سلطة الضمير ـ وفي آية أخرى يوضح ولك أيضًا بقول الله تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون﴾ التوبة : ١٠٥) .

﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ السلطة الالهية : ﴿وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون﴾ السلطة الاجتماعية ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون﴾ سلطة الضمير إذ يمر الإنسان أمامها قبل أن يعرض على المحكمة الإلهية .

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٣ ـ ١٤)

الرأى العام: وقد توصل الباحثون في العصر الحديث في علم السياسة والاجتماع إلى أن السلطة الإنسانية تنقسم إلى نوعين :

ـ سلطة مركزية محدودة وهي سلطة الدولة بكل أجهزتها ويمثلها رئيس الدولة .

ـ وسلطة لا مركزية وغير محدودة المعالم وهي سلطة الرأى العام وقد جمعت الآية الكريمة هذين النوعين في كلمتين ﴿وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون﴾ .

فقوله ﴿وَرَسُولُهُ﴾ : بيان لمسئوليتنا أمام سلطان الدولة .

وقوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ : بيان لمسئوليتنا أمام الرأى العام كله .

والسير على هذا المنهج فيه صلاح البشرية في ظاهرها وباطنها وهو ما تفتقده شعوب الأرض جميعًا .

وذلك يحتاج إلى التربية، تربية الفرد وتربية المجتمعات وفق منهج الله .

كما يحتاج إلى العقوبات الرادعة لمن تسول له نفسه تعدى حقوق الإسلام .

كما يحتاج أيضًا إلى مكافأة المستقيم على الطريق السليم .

والتربية الحقيقية تجعل المؤمن الملتزم يحس بأن الجنة ما هي إلا دليل على الرضا الإلهي وهذا هو ما يهدف إليه ويسعى إلى تحقيقه وإن كان هناك من الناس من يحتاج إلى العقوبة .

وفي القرآن الكريم أكثر من ألف موضع يدعو فيها إلى الفضيلة لما فيها من طهر وسمو، وينهى عن الرذيلة لما فيها من فحش وسقوط بغض النظر عن أي اعتبار آخر غير الاعتبار الأخلاقي حتى إذا قمنا بأى عمل بعد ذلك استطعنا أن نحكم عليه وعلى أنفسنا فإذا ما كان مطابقًا لتعاليم الإسلام محققًا للمثل العليا شعرنا بالراحة والطمأنينة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(٨)لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (الغاشية: ٨ ـ ٩) .

وإذا جاء منحرفًا عن تعاليم الإسلام شعرنا بالندم وقاسينا تأنيب الضمير ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ(١)وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ١ـ ٢)

ولعل الهدف من عرض سيرة المصلحين والمفسدين في القرآن الكريم والتعليق على قصص السابقين واللاحقين هو تغذية الرأى العام وتدريبه على الأحكام السديدة حين نحكم على أعمال الناس وأخلاقهم حتى أن سورة الفاتحة على قصرها لم تخل من عنصر الثناء بالخير أو الشر : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

مسؤولية تضامنية :

والمسؤولية في الإسلام مسؤولية تضامنية وقد ضرب الرسول ﷺ المثل بركاب

السفينة الذين اقتسموا طبقاتها فسكان أعلى السفينة مسؤوليتهم خطيرة بإزاء أهل الطبقات الدنيا الذين يحاولون أن يخرقوا السفينة بترويج الشكوك والشبهات وإثارة الغرائز والشهوات فإن لم يأخذوا على أيديهم فورًا في شدة وحزم غرقت السفينة كلها بمن فيها سكان أعلى السفينة، أما عامة الركاب فعليهم أن يبذلوا جهدهم في النصيحة ويبالغوا في الوصية فإما أن يزول المنكر وإما أن يزول المؤمن من أمامه مهاجرًا لربه .

والمسئولية المادية الاجتماعية باقية وعلماء الأمة مجمعون على أن من رمى بسهمه صيدًا فطاش سهمه فأصاب إنسانًا أو حيوانًا أو مالا وجب تعويضه ما حدث من تلق وما ترتب من ضرر، ودية الخطأ لا يحملها المخطئ وحده بل تحملها معه طائفة ممن حوله يسهم فيها معهم كواحد منهم تحملها معه عائلته أو أهل حيه أو أهل ديوانه تعاونا معه فإن لم يجد هؤلاء ما يحملون حملتها عنه الدولة فكما تحمل عن الغارمين غرمهم تؤدى عن المدينين ديونهم .

ثم إن المؤمن مسؤول عن النيات التى لها فيها اختيار وعزم وإصرار ويجزي بها ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق: ٩) .

أما الخواطر غير المستقرة التى لا كسب لنا فيها فلا نحاسب عليها لأنها من أحوال القلوب لا من عمل القلوب والله ولي التوفيق .

الاستقامة :

معنى الاستقامة: الاستقامة في الإسلام تعنى الاعتدال والسير على منهج الله سبحانه وتعالى بدون إفراط أو تفريط .. ومعنى ذلك أن الاستقامة لابد وأن تكون شعورًا في ضمير المسلم وسلوكًا في الحياة وصبرًا على تكاليف الخالق سبحانه وتعالى - والذي يفهم الاستقامة بمعناها الصحيح ويتجه اتجاهًا كاملة متكاملة - يستحق رضوان الله تعالى وما تفضل عليه به من جزاء عظيم في الدنيا والآخرة ...يقول الله سبحانه وتعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ(٣٠)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(٣١)نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠ - ٣٢) .

أسس الاستقامة : والأساس الأول في الاستقامة هو الإيمان بالله تعالى الكامل الذي يجعل المسلم يلتزم بمنهج الخالق سبحانه وتعالى عن طواعية وحب.

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى يمثل العقدة الكبرى في حياة الإنسان وإذا انحلت العقدة الكبرى انحلت بعدها العقد كلها كما يقول العلامة الهندى المسلم الشيخ أبو الحسن الندوى في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) : [لم يزل الرسول ﷺ يربى أصحابه تربية دقيقة عميقة ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويُزكى جمرة قلوبهم ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخًا في الدين وعزوفًا عن الشهوات وتفانيًا في سبيل مرضاة الله وحنينًا إلى الجنة وحرصًا على العلم وفقهًا في الدين وعزوفًا عن الشهوات ومحاسبة للنفس - يطيعون الرسول في المنشط والمكره وينفرون في سبيل الله خفافًا وثقالاً - قد خرجوا مع الرسول سبعًا وعشرين مرة في عشر سنين وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة ...

وانحلت العقدة الكبرى - عقدة الشرك والكفر - فانحلت العقد كلها وجاهدهم الرسول جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهى وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى فكان النصر حليفه في كل معركة .

لقد كان الانقلاب الذي أحدثه الرسول ﷺ في نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب ما في تاريخ البشر كان غريبًا في سرعته وكان غريبًا في سعته وشموله وفي وضوحه وقربه إلى الفهم وقد أثر هذا الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول وفي وخز الضمير وفي الثبات أمام المطامع والشهوات وفي الأنفة وكبر النفس وفي الاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء وفي الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة ونقلهم من الأنانية إلى عبودية الخالق .

ومعنى ذلك أن الاستقامة تعنى تحرير وجدان المسلم من عبادة غير الله سبحانه وتعالى في أية صورة من الصور كما تعنى التفكير السليم الذي يجعل المسلم يميز الخير من الشر والنافع من الضار كما تعنى السلوك السليم طوال حياة الإنسان على الأرض وإلى أن يلقى ربه .

الأساس الثاني: تحرير الوجدان : وقد كان الإسلام واضحًا في ذلك أشد الوضوح فلم يترك أية شبهة في هذا المجال ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ**﴾ (آل عمران : ١٢٨)

وقال له : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ (البقرة : ١٨٦) .

كما يهدف إلى تحرير الإنسان أيضًا من عبادة القيم الاجتماعية كالجاه والحسب والنسب وقالها صريحة كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات: ١٣) .

ولذلك فقد طلب القرآن الكريم من المسلمين أن يتقوا الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، يقول الله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ (سورة التغابن : ١٦)

وإتمامًا لهذا المنهج جعل الأعمال بالنيات وقد روى الشيخان أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » .

ولم يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم وفي الحديث الشريف أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل للمغنم أي ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (رواه الشيخان) .

الأساس الثالث : التفكير السليم: والإسلام يقدر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدمها المسلم في الخير، وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلي فطلب من المسلم تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ـ ولذلك فقد نعى على الإنسان التقليد المطلق الذي لايستخدم العقل؛ قال الله تعالى : ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ(٢٣)قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ**﴾ (الزخرف: ٢٣ ـ ٢٤) .

ولذلك فقد تميز المسلمون بالدقة العلمية في أبحاثهم على الرغم من قلة الإمكانات التى كانت معهم . والإسلام يوجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته على عوامل

التطور الحقيقية في المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها .. قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الرعد: ١١) .

كما يوجهه إلى استخدام الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان.. كما قال الله عز وجل : ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الملك : ١٥) .

وقد رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء فقال الله سبحانه :

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة :١١)

وحث العلماء أن يُعلموا غيرهم لينشروا العلم وينشروا الدعوة؛ فقال: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ التوبة: ١٢٢).

الأساس الرابع : السلوك السليم :

والسلوك السليم عنصر أساسي من عناصر الاستقامة التى تجعل المسلم يقوم بواجبه ووظيفته وحين كانت الاستقامة موجودة في المجتمع الإسلامي كانت النتيجة تغيير الأوضاع كلها طبقًا للأسس التى جاء بها الإسلام ذلك لأن المسلمين منتدبون لمهمة إنسانية كبيرة لا يعود خيرها عليهم وحدهم ـ إنما يعود على الجبهة المؤمنة كلها وفيها ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة ـ قال الله تعالى : ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠)

بل يعود على الدنيا كلها حين تُحس بالمساواة الكاملة والعدل والأمن والاستقرار في الدولة الإسلامية .. ومن هنا .. فإن الإسلام لا يرضى للمسلمين التكاسل في أداء هذه المهمة ، ولا يرضى بالضعف حتى ولو كان ذلك في أوقات الشدة.. ولذلك فإن يعالج فيهم الوهن والخواطر الفطرية بوسائلها.. فيقول الله تعالى : ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩) .

فالمؤمنون هم الأعلون لارتباطهم بالله تعالى وبالمنهج الإلهي وغايتهم السامية، والله سبحانه وتعالى معهم فهم ليسوا وحدهم وما يكون أعداؤهم هؤلاء ما دام الله سبحانه وتعالى معهم؟

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بنصر المؤمنين ما دامت الوجهة له والنصر لدينه. قال تعالى ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج : ٤٠)

ثم إن الإسلام يهون من شأن الدنيا التى قد تصيب المسلمين ببعض الابتلاء ، وسيوفهم ربهم أجورهم يوم القيامة، والحياة الدنيا ما هي إلا لهو ولعب حين لا يكون وراءها غاية كريمة وهدف نبيل .

وحين تقاس لذاتها مقطوعة عن منهج الله سبحانه وتعالى ذلك المنهج الذي يجعلها مزرعة للآخرة ويجعل إحسان الخلافة فيها هو الذي يستحق وراثة الدار الباقية .. قال تعالى : ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُم﴾ (محمد: ٣٦) .

الأساس الخامس: ضبط الغريزة:

والإسلام يضبط الغريزة ويوجهها ـ والإنسان بطبيعته يتلهف على لذائذ هذه الحياة حين يحس بأن فرصته في الدنيا موجودة ومن الممكن إشباع هذه الغريزة .

ولكن الاستقامة تعنى أن إشباع هذه الغريزة لابد وأن يكون طبقًا لمنهج الله سبحانه وتعالى وقد وضح أساليب هذه الإشباع حتى يكون المسلم على بصيرة وحتى يسير على المنهج المستقيم .

ومع ذلك فإن الإسلام يعرض إلى جوار هذه اللذائذ ألوانًا من اللذائذها المحببة لتبقى لهم إنسانيتهم الرفيعة .. ومن هنا فإنه جمع في آية واحدة أحب شهوات الدنيا إلى نفس الإنسان فقال الله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ (آل عمران: ١٤)

ثم بيّن للناس أن هذا كله متاع الحياة الدنيا، وأن هناك لذائذ أخرى أعظم وهي ما ذكر بعد ذلك في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ آل عمران: ١٥)

والإسلام مع هذا يستنفد طاقات الإنسان النفسية في اتجاهات عليا لا تلجأ إلى المتاع الحسي وحده .

كما يستنفد الطاقة الجسمية في اتجاهات عليا بقصد تحويل الفائض منها عن أن يستغرق في متاع الحس، فهو لذلك ـ عن طريق الإعلاء ـ حث على الفروسية لأنها رياضة ترفع النفس عن محيط الحس وتوجه الطاقة إلى منصرف نبيل، وهو يقيم نظام المجتمع كله بصورة لاتمنع الدوافع الفطرية عن الإشباع.. ولكنها تمنع الإسراف في كل شيئ.. فالاستقامة في كل شيئ هدف من أهداف الإسلام، والله سبحانه وتعالى لا يحب الإسراف في هذه الحياة .. يقول الله تعالى : ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام : ١٤١) .

آثار الاستقامة :

الاستقامة على منهج الله سبحانه وتعالى تجعل المسلم يعيش حياته بقيمه وأخلاقه ويستطيع أن يؤدى وظيفته في هذه الحياة فيدعو إلى الله على بصيرة وينشر رسالة الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ـ وبذلك يبتعد عن كل القيم والأخلاق التى ترد عن غير الطريق الإسلامي وبذلك يتعرف عن نواميس الكون التى أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون المادي حتى يستطيع أن يستخدمها في ترقية الحياة وفي استنباط خامات الأرض التى أودعها الله سبحانه وتعالى فيها وجعل النواميس الكونية أختامها ومنح الإنسان القدرة على اكتشافها ـ وحينئذ يحس بأن عمله كله عبادة الله سبحانه وتعالى وأنه قد حقق غاية وجوده الإنساني، والاستقامة لا تعنى رفض التقدم المادي ولا الاستمتاع به ما دام ذلك في إطار المنهج الإسلامي .. قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (الأعراف : ٣٢) .

بل إن الإسلام يحث على ذلك ويطلب أن يشارك أبناؤه فيه وأن يقوموا به ما دام ذلك يساعدهم على تحقيق وظيفتهم في هذه الحياة .. ومقياس نجاح الاستقامة يظهر في

الأثر الذي نلمسه في السير على منهج الله سبحانه وتعالى ونشر الإسلام في هذا العالم ليسعد الناس به في الدنيا وفي الآخرة .

وحين حقق المسلمون السير على أساس الاستقامة فإنهم أنشؤوا الحضارة الإسلامية الرائعة التي نعمت بها البشرية قرونًا طويلة ولعل من الإنصاف أن نقول: إن البشرية لا تزال تنعم بعلومها واكتشافاتها وبحوثها كما يعترف الغرب نفسه بذلك .

نعم لقد فعل المسلمون ذلك عبادة لله تعالى وقيامًا بوظيفتهم في هذه الحياة، وجعلوا بذلك أمتهم الإسلامية في مكان الريادة للأمم كلها فكانت بذلك خير أمة أخرجت للناس، وكانت حضارتها خير حضارة عرفها التاريخ بالنسبة للإنسانية كلها، وذلك لأنها حققت كل الجوانب الإيجابية المفيدة للفرد والمجتمع على السواء .

وهكذا .. يستطيع المسلم أن يعمل في ظل الاستقامة محققًا بذلك أهدافه في إسعاد الفرد وتحقيقه لأمنه وذاتيته وفي إسعاد المجتمع الإسلامي وتحقيقه لطمأنينته وشخصيته ووظيفته وفي إسعاد المجتمعات الإنسانية كلها إذا ما سارت على هذا المنهج القويم ..

وبذلك تتحقق الآية الكريمة : **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٣)أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (الاحقاف : ١٣ ـ ١٤) .

المساواة :

المساواة كلمة محببة إلى نفس كل إنسان في هذا الوجود وكل فلسفة تخطط وتنظم وتقول إن هذا النظام فيه المساواة الكاملة ـ مع أن كل فلسفة لها مفهومها الذي قد يختلف أو يتضاد مع الفلسفات الأخرى ..

والإسلام الدين السماوي يرى أن المساواة تبدأ من تحرير الوجدان البشري من عبادة غير الله ومن الخضوع لأحد غير الله تعالى خالق الكون وخالق البشر ـ فالله سبحانه وتعالى خلق الناس جميعًا من أب واحد ومن أم واحدة :

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات: ١٣) .

وهو الذي طلب من عباده أن يعبدوه وحده ولايشركوا به شيئًا، قال تعالى:
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء: ٣٦) .

والناس متساوون جميعًا في الاتصال بالله خالقهم بدون أن تكون هناك وساطة بين إنسان وبين خالقه ولو كان النبي الذي أرسله الله لهداية عباده :﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦) .

وإذا ثبتت هذه المعاني في نفس أي إنسان فإنه يحس بالعزة الكاملة والمساواة بينه وبين أي إنسان في هذا الوجود ـ ثم إنه لا يخاف من أي إنسان مهما كان عظيمًا أو صاحب جاه ـ فالرزق بيد الله الخالق والنافع والضار هو الله سبحانه وتعالى ـ ومن هنا فإن الإنسان لا يخاف من أي شيء ولا يخاف على أي شيء وبذلك يتحرر الإنسان من كل خوف ويحس بالمساواة الكاملة بينه وبين أي إنسان في هذا الوجود وبخاصة وأنه يحس بأن الإنسان القريب من الله ليس صاحب المال أو صاحب الجاه إنما القريب من الله هو الذي يتقى الله ويخشاه ويرعى كل شيء في هذا الوجود طبقًا لمنهج الله:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) .

وإذا ثبتت هذه المعاني في نفس الإنسان فإنه سيعمل على تحقيق المساواة بأي أسلوب مشروع ولا ينتظر من يمن عليه بهذا وسيحرص على وجود المساواة بين الناس جميعًا الغنى والفقير القوى والضعيف وذلك ما تم تطبيقه في العصور الأولى للإسلام وفي كثير من العصور التالية ...

ومن هنا فإننا لم نجد في المجتمعات الإسلامية من يدعى أنه من نسل الآلهة أو أن الدم الذي يجرى في عروقه إنما هو الدم الملوكي الأزرق يقول الشهيد سيد قطب في كتابه « العدالة الاجتماعية في الإسلام» في الوقت الذي كانت بعض الملل والنحل تفرق الشعوب إلى طبقات خلق بعضها من نسل الإله فهي مقدسة وخلق بعضها من قدميه فهي منبوذة . وفي الوقت الذي كان الجدل يدور حول المرأة: أهي ذات روح أم لا روح فيها وفي الوقت الذي كان يباح للسيد أن يقتل عبيده ويعذبهم لأنهم من نوع

آخر غير نوع السادة .

في هذا الوقت جاء الإسلام ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير وفي المحيا والممات في الحقوق والواجبات ـ أمام القانون وأمام الله تعالى في الدنيا والآخرة ـ لا فضل إلا العمل الصالح ولا كرامة إلا للأتقى، والقرآن الكريم يكرر أن الناس جميعًا مخلوقون لله تعالى من أب واحد وأم واحدة حتى يثبت هذه المعاني في نفوس الناس الذين يحاولون أن ينسوا هذه الناحية لسبب أو لآخر :

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (النساء:١) .

ولقد كان العرب في الجاهلية يتعصبون للقبيلة تعصبًا أعمى ـ فجاء الإسلام ليبرئ أتباعه من كل أنواع العصبيات الشيء الذي لم تصل إليه أية حضارة في القديم أو في الحديث .

والله سبحانه وتعالى سيحاسب كل إنسان وحده بدون أن يكون معه أحد فكل إنسان سيأتيه فردًا يوم القيامة فيحاسبه على ما قدمت يداه وقد حرص النبي ﷺ أن يبين للناس جميعًا أنه لا يملك لأحد من الناس نفعًا ولا ضرًا مهما كان قريبًا منه ولذلك فقد ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال:

«يامشعر قريش لا أغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبد مناف لا أغنى عنكم من اله شيئا ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ياصفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا»

والجنس البشري قد كرمه الله تعالى لا فرق بين إنسان وإنسان ـ فالتكريم للجنس كله لا لقبيلة ولا لشعب فكلهم لآدم وآدم من تراب والله تعالى كرم آدم ولذلك فإن جميع بنى آدم مكرمون لا فرق بين واحد وآخر:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء:٧٠)

كرامة المسلم:

والمسلمون جميعًا يحسون بكرامة كل فرد في المجتمع ـ على عكس المدنيات قديمها وحديثها وفي المدنيات الحديثة نلاحظ أن الناس وأجهزة الدعاية والإعلام بكل أنواعها تتناول بعض الناس بأصناف من الغمز واللمز والاتهامات المختلفة بدون دليل ـ بينما يحظر ذلك كله على بعض الناس من الأغنياء وأصحاب الجاه حتى وإن كان صحيحًا ـ ومن هنا كان القرآن الكريم واضحًا وصريحًا في بيان أن السخرية والغمز واللمز والتنابز بالألقاب حرام على كل مسلم سواء أكان فقيرًا أم غنيًا أميرًا أم عاملاً :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١)

ونلاحظ أن التعبير بقوله **﴿ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُم﴾** تعبير دقيق عميق الدلالة ـ فلمز المؤمن للمؤمن ما هو إلا لمز لنفسه ـ لأن الجميع من نفس واحدة .

ولكل فرد في المجتمع كرامته وحرمته ـ والقرآن الكريم حرص على إشعار كل فرد في المجتمع الإسلامي بكرامته وبأن له حرمته التى لا يجوز أن ينتهكها عليه الآخرون مهما كانوا ـ وليس هناك فرق بين إنسان وآخر في هذه الحرمة ـ فالإسلام هو الذي يحفظ هذه الحرمة لأنه هو الذي شرعها للناس جميعًا :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٢٧)فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (النور :٢٧ ـ ٢٨) .

وفي سورة الحجرات يقول الله تعالى :

﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢) .

أمثلة من المساواة :

وقد تعود الناس أن يستمعوا إلى كلام يقال وعند التطبيق يختلف الكلام عن التطبيق - لأن الكلام سهل ولكن التطبيق هو الذي يدل على مدى الإيمان وعلى مدى الصلة بالله تعالى وعلى مدى التحرر الوجداني لقد كان الرقيق في كل مكان على وجه الأرض غير طبقة الأحرار وكذلك الأمر في الجزيرة العربية - ولكن الإسلام غير كل ذلك ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك في الإسلام زواج «زينب بنت جحش» سليلة قريش الهاشمية من زيد بن حارثة والذي زوجها هو النبي ﷺ والزواج في جميع أنحاء الأرض مسألة حساسة وهو في الجزيرة العربية أكثر حساسية وتظهر المساواة الكاملة بين الزوج وزوجه - وفي عصرنا الحاضر وفي الولايات المتحدة الأمريكية لا يجرؤ زنجي على الزواج من فتاة بيضاء - أية فتاة بيضاء - بل إنه يحرم عليه دخول الكنائس والمدارس الخاصة بالبيض - بل وركوب السيارات العامة الخاصة بالبيض لكن النبي ﷺ طبق هذا المفهوم الإسلامي على ابنة عمته ومولاه - حتى تكون الأمور واضحة كل الوضوح وحتى يقتدى به المسلمون جميعًا .

وحين آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في أول الهجرة - كان عمه حمزة بن عبد المطلب ومولاه زيد أخوين وكان أبو بكر وخارجة بن زيد أخوين وأبو رويحة الخثعمي وبلال بن رباح أخوين ولم تكن هذه الأخوة بمجرد لفظ أو ناحية أدبية - بل إنها كانت صلة الحياة التى تعدل صلة الدم صلة القربى في النفس والمال وسائر مظاهر الحياة.

وقبل و فاة النبي ﷺ - بعث بمولاه زيد بن حارثة قائدًا لغزوة مؤته ثم بابنه أسامة قائدًا لغزو الروم في جيش يضم كثرة من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وهما اللذان أصبحا خليفتين بعد وفاة الرسول ﷺ وفيهم سعد بن أبى وقاص - فلما قبض رسول الله ﷺ وتولى أبو بكر ثبت القائد ثم سار يودعه إلى ظاهر المدينة - وقد كان هذا المنظر فريدًا في التاريخ فأبو بكر الخليفة يمشى على رجليه وأسامة القائد - و هو ابن سبعة عشر عامًا راكب فيستحي أسامة أن يركب والخليفة الشيخ

يمشي فيقول: «يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن»

فيقول أبو بكر :

«والله لا تنزل ولا أركب وما على أن أغير قدمي في سبيل الله ساعة» .

ثم يرى أبو بكر أنه في حاجة إلى عمر وقد حمل عبء الخلافة على عاتقه ـ ولكن عمر ما هو إلا جندي في جيش أسامة وأسامة هو الأمير ـ فلابد من استئذانه فإذا بالخليفة يقول : «إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل»

وقد كان المجال مفتوحًا في المجتمع الإسلامي أمام الموالي ليبلغوا أقصى مراتب المجد في كل اتجاه ـ فقد كان عبدالله بن عباس يذكر ويذكر معه مولاه عكرمة وكان عبدالله بن عمر يذكر ويذكر معه مولاه نافع وأنس بن مالك ومعه مولاه ابن سيرين وفي البصرة كان الحسن البصري وفي مكة مجاهد وعطاء بن رباح وطاووس هم الفقهاء وهكذا .

هذا هو مفهوم المساواة في الإسلام من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية ـ مفهوم لم تصل إليه أية مدنية أو أية فلسفة وتطبيق لم يحدث في التاريخ على امتداد الزمان والمكان .

وهكذا يحمل المسلمون إلى البشرية هذا الدين الإلهي الذي يغير مفهوم الحضارة والمدنية ويعود بها إلى هذه الآفاق الرحبة الواسعة فيسعد الفرد ويسعد المجتمع ويحس الجميع بالحب والعطب والأمن والاطمئنان . ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة : ١٢٨) .

التكافل:

التكافل الذاتي: ويقصد به رعاية الإنسان لنفسه فهو مكلف بأن يظهر نفسه وأن يزكيها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(الشمس:٩) ومطلوب منه أن يسلك بها طريق النجاح طريق المنهج الالهي في كل ناحية من نواحيه وألا يلقى بها إلى التهلكة ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة : ١٩٥) .

والتبعة الفردية كاملة فكل إنسان سيحاسب على عمله خيرًا كان أو شرًا وسيكون الحساب في منتهى الدقة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة) ولذلك فإن القرآن الكريم يؤكد على هذا المعنى فمن سار في طريق الهداية فهو الفائز في الدنيا والآخرة ومن سار في طريق الغواية فهو الخاسر في الدنيا والآخرة ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (الزمر: ٤١)

ومعنى ذلك أن الإنسان مطلوب منه أن يقف موقف الرقيب من نفسه يحاسبها إن أخطأت ويهديها إن ضلت وهذا هو وظيفة الضمير كما يسمى بأسلوب العصر أو النفس اللوامة كما تسمى في القرآن الكريم .

التكافل الأسري:

ويقصد به رعاية الإنسان لكل فرد من أفراد أسرته فالإنسان في الأمة مطالب بأن يرعى والديه وأخوته وزوجه وأولاده وهكذا كل فرد من أفراد الاسرة ومن ذلك ما يوجهنا إليه القرآن الكريم في قوله ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ البقرة : ٢٣٢) .

وفي قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤) . وقد روى النسائي عن طارق المحاربي قال: «قدمت المدينة فإذا رسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول : يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول أمك وأباك فأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » .

وهذا التكافل في محيط الاسرة هو الذي يمسك بها ويصونها ويحفظها ويجعلها تؤدى وظيفتها في المجتمع ذلك لأنها اللبنة الأولى وهي تقوم على الميول الثابتة في الفطرة الانسانية وعلى عواطف الرحمة والمودة ومقتضيات الضرورة والمصلحة .

ثم إنها العش الذي تنشأ حوله وفيه الآداب والأخلاق الخاصة بالجنس وغيره وبغير

الاسـرة يفقد الفرد كثيرًا مـن قيمه ومـن أمنه النفسـي والجسـمي وكذلـك المجتمع فإنه يفقد الآمن والاستقرار والهدوء والراحة والعمل .

وقـد أثبتت تجارب الحرب العالمية الثانيـة بين أطفال المحاضن أن الطفل الذي تتناوب تربيتـه عـدة حاضنات تختل شـخصيته وتتفكك ولا تنمو فيـه مشـاعر الحب والتعاون والتناصح والعمـل والبناء كمـا أن الطفل الذي يعيش بعيـدًا عن أحد والديـه يعاني من مركب النقص ويهرب من الواقع بتخيل والد لا وجود له.

والتوارث المـادي للثروة مظهر مـن مظاهر التكـافل الاسـرى في الإسـلام والتوارث يكـون بعد أداء الدين الـذي على الميـت ثم الوصيـة التى لا تتجـاوز ثلـث التركـة ولا تكون لوارث .

فالتوارث في النظام الإسلامي لون من ألوان التكافل فالوالد الذي يعمل وفي شعوره أن ثمرة عملـه سينتفع بهـا أبناؤه مـن بعده سـيعمل ويضـاعف عملـه وينتج ويضاعف انتاجه وفي هذا مصلحة للفرد وللجماعة وللانسانية كلها .

وإذا كـان الابنـاء يرثون مـن آبـائهم وأمهـاتهم صفـات واسـتعدادات في تكوينهم الجسمي والعقلي تلازمهم طوال حياتهم ويرث بعضها أو كلها أبناؤهم فمن العدل أن ينتفعوا بجهود آبائهم وأمهاتهم .

والتكـافل الاسرى يمتد ليشـمل كل ذوي الارحـام وقد أعطى الاسلام ذوي القربى حقوقًا تظهر في قولـه تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ ﴾ (الإسراء: ٢٦) . والجـار أيضًا لـه حق سـواء أكان قريبًا أم غريبًـا وإن كان الجار القريـب حقه مضاعف يقول الرسـول ﷺ « أحسن إلى جارك تكن مسلما» ابن ماجه . وقال أبو ذر الغفاري عن رسـول الله ﷺ «أوصـاني خليلي ﷺ إذا طبخت فـأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها » مسلم .

والقـرآن الكريم يقول ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ﴾ (البقرة :٨٣) .

التكافل بين الفرد والجماعة:

التكافل بين الفرد والجماعة وبين الجماعة والفرد أساس من أسس التكافل في الإسلام ومنذ البداية فإن إحسان العمل مطلوب من كل فرد وهو لون من ألوان العبادة والقرآن الكريم يوضح ذلك في قوله ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون ﴾ (التوبة :١٠٥) .

وكل فرد يقف على ثغرة من ثغر الإسلام وهو مطالب باليقظة التامة حتى لا يؤتى من قبله وقد مثل النبي ﷺ المجتمع الإسلامي بركاب سفينة تسير في وسط المحيط فكل فرد مسؤول عن سلامة نفسه وسلامة من معه وأي تقصير أو إفساد سيعود على الجميع بالخسارة البالغة وذلك حيث يقول ﷺ « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقموا مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» البخاري .

والأمة كلها مسؤولة عن حماية الضعفاء فيها ورعاية مصالحهم حتى ولو وصل الأمر إلى القتال ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ﴾ (النساء: ٧٥) .

والمجتمع مسؤول عن المحافظة على مال اليتيم والسفينة وما إلى ذلك والأمة الإسلامية كلها كالجسد الواحد كل فرد من أفرادها يحس بإحساس إخوانه وما يصيب عضوا من أعضاء المجتمع فهو يصيب المجتمع كله «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه الشيخان .

ومن التكافل الحفاظ على المجتمع الإسلامي ليكون سليمًا قادرًا على أداء وظيفته في هذه الحياة حتى يحقق أمل الإسلام فيه ويكون المسلمون بذلك خير أمة أخرجت للناس

تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ـ نعم ومن التكافل تطبيق الحدود التى شرعها الله تعالى لأن التعاون في المجتمع الإسلامي لا يقوم إلا على أساس صيانة حياة كل فرد من أفراد المجتمع وصيانة ماله وصيانة عرضه وصيانة عقله وفي ذلك يقول الرسول ﷺ «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه الشيخان . وقد سرد المرحوم الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (من روائع حضارتنا) مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعي في العالم الإسلامي من بينها إنشاء المدارس والمساجد والمستشفيات والزوايا وبيوت الحجاج والعابرين وحفر الآبار في الفلوات وأمكنه المرابطة على الثغور ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن يقودهم ويخدمهم وشراء أكفان الموتى ومؤسسات الايتام واللقطاء وهذه المؤسسات كانت تطبيقا عمليًا لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي نادى به القرآن الكريم في قوله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة:٢) .

دور المسلم في العصر الحاضر :

الحضارة الغربية على وشك إشهار إفلاسها لأنها نظرت إلى الإنسان من الزاوية المادية وحدها ـ والإنسان مكون من جسم وروح وعقل ولذلك فإن الغرب يعيش في قلق مستمر وفي ذلك يقول العالم الغربي «رينيه دوبو» في كتابه [إنسانية الإنسان] .

«إن إنسان الحضارة الغربية قلق حتى ولو كان في زمن السلم وفي جو البحبوحة الاقتصادية لأن علم التكنولوجيا الذي يشكل محيطه المباشر والذي فصله عن عالم الطبيعة الذي تطور الإنسان فيه أولا ـ فشل في توفير حاجات الإنسان الأساسية التى لم تتغير أو تتبدل وإنسان اليوم ليس غريبًا عن أخيه الإنسان وعن الطبيعة فقط، بل الأهم بكثير هو أنه غريب معزول عن أعماق ذاته » .

ومن هنا فإن العالم كله الآن أصبح في حاجة إلى الإسلام ينظم له حياته ويبين له طريق الخير ويحذره من طريق الشر .

دور المسلم :

ومن هنا يأتي دور المسلم لإنقاذ العالم مما هو فيه، ولكن المسلم الآن وصل إلى حد

الانسحاق التام ووصل مجتمعه إلى حد الإفلاس الكامل والغربي بلغ حد الجبروت وبلغ مجتمعه حد البطر .

وهذا يحتاج إلى الأمة الوسط التى تتولى مهمة الإنقاذ والأمة الوسط تتحقق عن طريق إيمان الأفراد واتخاذ المجتمعات الإسلامية الدين منهجًا لحياتها .

وذلك يحتاج إلى عنصرين أساسيين :د

العنصر الأول: أن يغير المجتمع الإسلامي نفسه من خلال الاقتناع والإقناع وبمعرفة نفسه ومعرفة الآخرين يستطيع تعريف الآخرين بنفسه .

العنصر الثاني: المعاصرة الحضارية . بمعنى أن يرتفع المجتمع الإسلامي إلى مستوى الحضارة المعاصرة ولا يمكن للمسلم الوصول إلى مستوى الحضارة مالم يقتنع بأن له رسالة سامية ولايستطيع تحقيق رسالته مالم يرتفع إلى مستوى الحضارة .

ودور المسلم اختاره الله تعالى له في التاريخ، وهذا الدور له خطورته وله مقتضياته وقد وضح هذا الدور في قوله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) .

والأمة الإسلامية إذا أرادت أن تؤدى وظيفتها فإن عليها أن ترتفع إلى مستوى الإسلام فتطبقه على الأفراد وعلى الجماعات وتصبح أمة واحدة متماسكة قوية لها أهدافها الواضحة وخطواتها المدروسة المنظمة حتى تتحقق فيها شروط الأمة الوسط التى تكون شهيدة على الناس جميعًا تقيم بينهم العدل والقسط وتضع لهم الموازين والقيم وتبدى فيهم رأيها فيكون هو الرأى المعتمد وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها وتقول: هذا صواب وهذا خطأ .. هذا وضعها مع الأمم وبذلك يكون الرسول ﷺ شاهدًا عليها يقرر لها موازينها وقيمها ويحكم على أعمالها وتقاليدها .

الأمة الوسط :

الأمة الوسط هي الأمة التى تتحقق الوسطية فيها في كل شيء فتكون وسطا في

التصور والاعتقاد تتبع الفطرة الممثلة في الروح والجسد وتعطى لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتكون أمة وسطا في التفكير والشعور تستمسك بما لديها من مناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب وتكون أمة وسطا في التنظيم والتنسيق. ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب ، وتكون أمة وسطًا في الارتباطات والعلاقات. تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدى إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادمًا للجماعة والجماعة كافلة للفرد في تناسق .

وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله لها إلا أنها تخلفت عن منهج الله الذي اختاره لها واتخذت لها مناهج مختلفة ليس من بينها منهج الله - وأمة تلك وظيفتها وذلك دورها خليقة بأن تبذل التضحية فللقيادة تكاليفها وللقوامة تبعاتها كما يقول الشهيد سيد قطب في [ظلال القرآن] .

القرن العشرين:

في هذا القرن هبت أكبر عواصف في تاريخ الإنسانية وسجلت الأحداث الكبرى في مجال العلم وفي المجال النفسي والأخلاقي بسبب الحربين العالميتين اللتين هزتا العالم مرتين خلال أربعين سنة وشملت للمرة الأولى في التاريخ سائر أنحائه .. ومن هنا يبرز دور المسلم الذي حدده القرآن الكريم كشاهد.

وفي العالم الغربي المعاصر نجد الحيرة قائمة في العقول والنفوس والأرواح وترتب على ذلك التصرفات التى نراها الآن في مجتمعاته .

فالسويد التى تعتبر من الدول السعيدة ماديًا وتحققت فيها كل الضمانات الاجتماعية تتصدر رأس القائمة في إحصائية الانتحار العالمية . وهذا يعنى أن امتلاء البطون لايغنى النفوس ولا يشبعها وحين لا تجد الأرواح وجهة تتطلع عليها تفضل الخروج من الحياة عن طريق الانتحار وأحيانًا تتجه إلى الهروب من المجتمع عن طريق الإدمان على المخدرات بحيث يصبح المجتمع مهددًا بالخراب لأن قاعدته الاجتماعية

وهي الشباب تنهار .

وفي أمريكا نجد أن المجتمع يعاني ظاهرة تضخم المدنية وقلة الإرادة وقد أصبحت الهوة تتسع بين المدنية والإرادة وأصبح الإنسان يتمزق وبخاصة الشباب الأمريكي . والإفلاس الأخلاقي هو الذي يشعر الشباب بأن هذا الإفلاس هو طريق البداية للنهاية. وخالق البشر أدرى بحاجاته المادية والروحية والعقلية ولذلك أرسل رسله إلى الناس ليرشدهم إلى طريق الحق والخير والنجاح .

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف :٩)

اتجاه التاريخ :

ونلاحظ في عصرنا الحاضر أن الأديان المختلفة فشلت في أن تحقق الاستقرار والطمأنينة لأتباعها فبدؤوا في الانسلاخ منها أو من تعاليمها .

كما نلاحظ أن المسلمين يغطون نصف مساحة الدنيا وعددهم مليار وستمائة مليون يمثل ٢٧٪ من سكان العالم . واتجاه التاريخ يبين للعالم فشل تجاربه وخيبة أمله في تجاربه العلمية والتكنولوجية ويُرى للناس في الدنيا كلها نمو العالم الإسلامي كمًّا وكيفًا :

كمًّا من ناحية ازدياد السكان المستمر فقد كان عدد المسلمين قبل الحرب العالمية الأولى ربع بليون فقط والآن يزيدون على البليون .

وكأن الله تعالى أراد أن يؤجل دور المسلم في هذا القرن حتى تنتهي كل التجارب البشرية بالفشل ويستطيع الإسلام عن طريق أبنائه بعد إصلاح أخطائهم وتمسكهم بدينهم أن يقوم بدوره كاملاً في إنقاذ البشرية في مستقبل الأيام كما أنقذها في أيام النبي ﷺ .

كيف نتصور دور المسلم؟

ودور المسلم نتصوره طبقًا لضرورات داخلية وضرورات خارجية. ضرورات بناء الفرد المسلم وإعداد المجتمع المسلم لأداء رسالته في هذه الحياة حتى يكون قادرًا على

أن يؤثر؛ والأرض العطشى لا يمكن أن ترتوي بالماء الذي تحت مستواها وإذا أراد المسلم أن يقوم بريّ الشعوب الغربية المتقدمة من الناحية المادية فليرفع مستواه الحضاري حتى يستطيع أن يقوم بهذا الدور. وبمقدار ما يرتفع إلى مستوى الحضارة بمقدار ما يصبح قادرًا على تعميم الدين الإلهي، إذ عندها يبقى قادرًا على بلوغ قمم الحقيقة الإسلامية واكتشاف قيم الفضيلة الإسلامية ومن هنا ينزل إلى هضاب المدنية الغربية المتعطشة للقيم الإسلامية والهدى فيضيف إليها بُعدًا جديدًا هو البعد الروحي وبذلك يحدث التوازن الذي يجعل المدنية الغربية تسير في طريق الحضارة الإنسانية السليم فتنقذ نفسها من الهاوية التي ستتردى فيها حتمًا لأن الحضارة العلمانية (حضارة الصاروخ) أبعدت أهلها عن هدى الله ففقدت أوربا في أعماق نفسها البعد الروحي .

والمسلم عليه أن يرفع نفسه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى ربانية الوجود. وإذا أتى المسلم هكذا في صورة الإنسان المتحضر الذي اكتملت حضارته بالبعد الذي يضيفه الإسلام إلى الحضارة وهو هدى الله ، عندئذ ترتفع الحضارة كلها إلى مستوى القداسة، والله وحده يُعْطي القداسة الإلهية لمن اتبع هداه .

دور المسلم إنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين :

وإذا أراد المسلم أن يقوم بهذا الدور فعليه أن يقتنع برسالته وأن يعد نفسه لها وأن يبدأ بتغيير نفسه من الداخل ثم بالتغيير في محيطه الخاص وفي المحيط العالمي: **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾** (الرعد: ١١) .

على المسلم الذي يريد أن يقوم بهذا الدور أن يعرف نفسه وأن يعرف الآخرين .

وذلك ليتقي شرهم عن معرفة وإدراك، وليبلغهم إشراق الإسلام والهداية الإسلامية.

وليعرفهم بنفسه بالصورة المحببة التي أجريت عليها كل عمليات التغيير بعد التصفية من كل رواسب القابلية للاستعمار .

وبذلك يقدم نفسه للعالم الغربي في صورة محببة لعينات من البشرية التي يصنعها الإسلام .

يقدِّم نفسه بأفكار صحيحة وقابلة للتطبيق في الوقت نفسه .

يقدِّم نفسه بعزته وبمجده وعلمه ونزاهته وبطولته واستشهاده وشهادته بالحق ولو على نفسه أو أحب الناس إليه كما يقول مالك بن نبي الفيلسوف الجزائري المسلم : الحضارة الغربية تعاني الأزمة .

والمسلم الذي تصنعه القيم الإسلامية فتشرق على وجهه وتجعله في نظر الآخرين أجمل صورة إنسانية في التاريخ .

هذا المسلم قادر على أداء دوره في العصر الحاضر .

فينقذ نفسه ويُنقذ العالم كله من الهاوية التي سيتردى فيها .

فهل نحن فاعلون؟

خاتمة :

وأخيرًا فإني أحس بأن العالم كله الآن في حاجة إلى إنقاذ العالم مما هو فيه من قلق نفسي وتباين اجتماعي وبعد عن الأخلاق السليمة ، إلى جانب العصبية المتنوعة والحروب المستمرة في كافة أنحاء الأرض .

وإلى جانب استخدام القنابل الذرية والغازات السامة المدمرة للبشرية كلها ، والهدف من ذلك كله السيطرة على الاقتصاد العالمي واستعباد العالم والتحكم فيه ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

ولذلك فإن العالم الغربي يهدم من الداخل فشبابه لا يحسون بالأمن ولا بالراحة النفسية ؛ ولهذا السبب فإنهم يهربون من المجتمعات عن طريق المخدرات ويهربون من الحياة عن طريق الانتحار الذي أصبح له جمعيات تيسر للشباب الانتحار الجماعي في حفل راقص نظير مائتي دولار يدفعها من يريد الانتحار إلى هيئة من هذه الهيئات، كما أن المجتمعات الغربية ظهر فيها الاستمتاع بالمادة وحدها حتى ولو ترتب على ذلك بيع بعض الأبناء للاحتفاظ بالسيارة مثلاً ، إلى جانب ظاهرة كراهية البنات التي جعلت بعضهم يئدون البنات بطرق حديثة عن طريق اختبار الحمل فإذا ما ظهر أن الحمل أنثى أصبح الإجهاض مستعملاً للتخلص من الأنثى .

كما أن بعضهم أصبح يؤمن بالشعوذة والمشعوذين ومنهم مسئولون كبار .

ولهذا انهارت الدولة الشيوعية ومن المنتظر أن تنهار الدولة الأمريكية فربما يظهر لنا أن الإنقاذ لا يكون إلا بالعودة إلى الله تعالى الخالق الرازق السميع البصير .

كما أننا نحس بنعمة الإسلام الذي أنقذنا من كل ذلك وجعلنا نتصل بالخالق سبحانه وتعالى فنحس بالرضا والاطمئنان والأمن حتى ولو كنا في حاجة إلى الطعام والشراب والسكن والأمن الخارجي والله سبحانه وتعالى يقول في ذلك : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

ويبين أن الله تعالى اختارنا لنعمر الأرض وفي ذلك اختبار لنا فإذا ما سرنا على الطريق المستقيم فإننا سننجح في الاختبار وإلا فلن نلوم إلا أنفسنا، يقول الله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام : ١٦٥) .

وأخيرًا فإنني أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى العودة إلى الإسلام والاقتداء برسول الله ﷺ فنؤدي وظيفتنا كاملة وبذلك يرضى الله تعالى عنا في الدنيا والآخرة . ولمثل هذا فليعمل العاملون .

الفهرس

الموضـــــوع	رقم الصفحة